الهجرة

بين الالتزام والانحراف

يا راحلا قل لي إلى أين المسير

ألِإلى الربى الخضراء أم وهج السعير
ألِإلى ضياء الروح أم موت الضمير
فإلى متى سنظل نمضي يا أخي
من دون إدراك المصير...

الشيخ علي السبيتي

الهجرة

بين الالتزام والانحراف



الشيخ علي السبيتي



الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

تحت إشراف جمعية الدعوة والتبليغ DTA

P.O.BOX 73088

2300 Lawremg Ave.E

Scanb orough.(Toronto)on Mip425

Email:dta_canada@hotmail.com

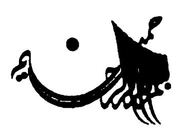
هوية الكتاب

اسم الكتاب : .... الهجرة بين الالتزام والانحراف

المؤلف : .... الشيخ علي محسن السبيتي

الناشر : .... مؤسسة الفكر الإسلامي ـ هولندا ـ

عدد النسخ : .... ١٠٠٠ نسخة



مقدمة الناشر

ليس مِنْ شَكٍّ أنَّ الدينَ الإسْلاميَّ الحنيف على المستوى العقيدي والعَمَليّ دِيْنٌ شَامِلٌ لجميع مناحي حَيَاةِ الإنسان، وهو في شموليَّتِهِ هذهِ يُلاحِقُ جميع مواقع الحاجَة في الحياةِ؛ ليرفِدَهَا بعطائِهِ الثرِّ..

ومِنْ تلكَ المواقع الحسَّاسة في حياةِ المُسْلم المُعَاصر، مسألةُ الهجرة والاغتراب، هذهِ الظاهرةُ الَّتي مِنْ شأنِهَا أنْ تَخْلُقَ اضطراباً وقلقاً لَدَى الإنسان المُسْلم حيالَ ما يتَّصلُ بواقع حياتِهِ على كل الأصعِدة..

وهُنَا تَبْرُزُ الحاجةُ إلى استنطاق الإسْلام كلِّ الإسلام؛ ليُشْرق بشمسِهِ الدافئة، ويضيء الدربَ أمامَ المتطلِّعين إلى النور، بيد أنَّ هذا الاستنطاق لابُدَّ أن يكون مِنْ ذي تجربَةٍ حيَّةٍ في هذا المضمار، حَتَّى يَتَّصف ذلك الاستنطاق والاستيحاء بلونِ الواقعيَّة، ويستطيع أن يُحَدِّد الدواء انطلاقاً من معرفة طبيعة المعَانَاة..

مِنْ هُنَا ارتأتْ مؤسسةُ الفكر الإسلامي في هولندا بالتنسيق مع جمعية الدعوة والتبليغ في كندا أن تُقْدِمَ على طباعة هذا المشروع الصغير في حجمه، الكبير في مُحْتَواه؛ لأنَّهُ يمثِّلُ بِصِدقٍ رافداً إسلامياً أصيلاً في خِدْمَةِ المسلم المهاجر، ويزيده قيمة إلى قيمته أنَّه كُتِبَ

بِقَلَمٍ عايش المعاناة، وانطلقَ مِنْ واقع التجربة. فنسألُ الله تبارك وتعالى أن يكون هذا الكُتيِّب خَيْرَ مُرْشِدٍ لإخواننا في المهجر، والله وليُّ التوفيق.

مؤسسة الفكر الإسلامي

ـ هولندا ـ



الهجرة والاغتراب

بين

الأسباب والنتائج

قد تتعدد الإجابات على هذا السؤال، فتكون مرة مَصُوْغَةً نتيجة خبرة وتجربة المجيب وأخرى تحليلاً وتقييماً نظرياً للمسألة من حيث المعطيات المتوفرة بين يديه، وأياً كانت نوعية الإجابة وظرفية انطلاقها فإننا نستطيع أن نحصر أسباب الهجرة والاغتراب بعنوانين رئيسيين يتضمنان تفاصيل كثيرة :

١ ـ الاضطهاد الديني والسياسي :

وهو المتمثّل بحركة الصراع القائمة عبر التاريخ بين الدعاة إلى الدين وحملة مشاعل الهداية للبشرية من الأنبياء والرسل والأوصياء والتابعين من جهة، وبين ملوك وسلاطين وقوى تتحكم بالناس وتعمل فيهم بآرائها وأهوائها من جهة أخرى.

وحقانية الخط الأول لا تعني ضرورة انتصاره وحسمه للمعركة لصالحه بدءاً بالجولات الأولى، لما للنصر من شرائط ومقدمات لابد من تحقيقها أولاً وقبل كل شيء. مما أدى إلى تسلط الخط الثاني بكل ما يعنيه من ظلم واضطهاد وتنكيل دافعاً بمجموعات من أصحاب العقيدة والدين إلى الفرار بدينهم وعقيدتهم حرصاً منهم عليها و تعلقاً بها.

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا النوع من الهجرة في حوالي ثلاث وعشرين آية عظَم فيها الهجرة والمهاجرين وقرنها بالجهاد

والإيمان وأثنى على المهاجرين في سبيل الله سبحانه وتعالى وجعلهم القدوة والطليعة في ركب المسيرة الإيمانية الظافرة. وليس هذا فقط بل حث في بعض الآيات على الهجرة معتبراً عدمها ظلماً للنفس وإساءة للمصير كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا ﴾[1].

وفي نفس مضمار الاضطهاد نلاحظ مُهاجرين وَمُهَجَّرين تركوا أو أرغموا على ترك أوطانهم نتيجة تبنيهم أو اتباعهم لأفكار سياسية معينة تخالف أو لا ترضي القوى المتَحكِّمة والمُهيمِنَة في تلك الأوطان .

وقد تحول هذا الأمر في العقود الأخيرة إلى ظاهرة مُتفشِّية في أكثر من مكان من العالم مما دفع هيئة الأمم المتحدة أن تضع ما يسمّى بـ (حق اللجوء السياسي)، هذا الباب الذي غصت به أفواج الوافدين من كل دول الاستضعاف حيث استطاع الاستعمار أن يخلق المشكلة من خلال تنصيبه لحكومات وأنظمة تعمل على ضمان مصالحه ولو على حساب مصالح شعوبها مما أدى إلى نشوء حركات المعارضة التي تبنت في غالبيتها مشاريع سياسية إصلاحية للواقع الفاسد بفعل فساد الأنظمة وإدارتها . وغالباً ما كان الرد على تلك المشاريع قمعاً وإرهاباً وتسفيهاً مما حمل المعارضين إلى الهرب

(١) النساء: ٩٧.

والتفتيش عن ملجأ أمين نسبياً يستطيعون من خلاله أن ينطلقوا من جديد في حركتهم، أو أن يسكنوا إلى الراحة والهدوء وإيثار الحياة الوادعة يأساً من الواقع وإمكانية تغييره وبالتالي ابتعاداً عن الوطن الأم وقبولاً اختيارياً أو اضطرارياً بوطن بديل ومجتمع جديد وحياة أخرى مختلفة في أنماطها وعاداتها وتقاليدها.

٢ ـ المشكلات الاقتصادية والاجتماعية :

وأما السبب الثاني، فقد يكون وليداً لنفس الحالة السابقة المتمثلة بفساد الأنظمة والإدارات الحكومية، أو نتيجة لدخول حرب طاحنة تستهلك خيرات وطاقات البلد وتوقف عملية التنمية فيه، مما يؤدي إلى خلق مشاكل اجتماعية عديدة أهمها فقدان الأدمغة المخططة وهبوط مستوى دخل الفرد وندرة فرص العمل والغلاء الفاحش وتراكم الديون الخارجية والمزيد من التفصيلات الأخرى التي تكوّن بمجموعها صورة الاقتصاد المتداعي مما يدفع المحتاجين إلى ركوب سبيل يعبر بهم إلى دنيا أحلامهم المزمنة، حيث العمل الوفير والرزق العميم والحياة المعيشية الهانئة.

ذكرنا لهذين السببين الرئيسيين لا يعني أننا استقرأنا كل الأسباب الممكنة، كما لا يعني أننا جعلنا كل سبب علة قائمة بذاتها بل لربما نجد العديد من عمليات الهجرة والاغتراب عن الأوطان قد ساهمت في صنعها عوامل وأسباب متعددة وبشكل متداخل.

٣ ـ الهجرة بين السلبية والإيجابية :

بعد هذا الاستعراض السريع والمختصر لأسباب الهجرة، قد يتبادر إلى الأذهان أن جلها الخير والمنفعة والإيجابية سيما وأنها شكلت، في أكثر من حالة مأساوية يقترب فيها الناس إلى درجة اليأس والجمود، فسحة أمل وفرصة خلاص وهروب من واقع حزين إلى آخر مفتوح على كل الاحتمالات ... ذلك الواقع الذي لا ندعي أفضليته على سابقه ولا نقول بعدمية جدواه أيضاً بل نفسح المجال لدراسته وتقييمه من خلال العديد من التجارب التي لا تزال حية كنماذج من أعداد غفيرة تعيش في المهجر لها كيانها ووجودها الذي لا ينكر ولا يستهان به .

وبما أن إدراك العناصر الإيجابية في المسألة سهل وواضح تبتدعه عقولنا وتستهويه قلوبنا، فلا داعي للغوص في غمراتها سيما وأن الإنسان في الوصف القرآني :

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[(١)].

فإذا ما توفرت له أية فرصة للحصول على هذا الخير (اللهم إلا إذا كان لهدف الدعوة ونشر الإسلام) والذي يعني المال بحسب كل التفاسير القرآنية، فإنه لن يقصّر بالطبع، لذا فضلنا الحديث فيما سيأتي عن السلبيات والمخاطر التي تحدق بعملية الهجرة والاغتراب وعن المصاعب والمشكلات والإشكاليات التي تواجه المهاجرين والمغتربين الذين ارتحلوا

---

(١) العاديات : ٨ .

غرباً، لا نحو الجهة الغربية من الكرة الأرضية فحسب ، وإنما نحو كل المجتمعات التي اصطلح عليها بـ (الغربية)، والتي تمتاز بتفضيل قيمة الرأسمال على كل قيمة أخرى، وحيث يعيش المسلم الملتزم بإسلامه أو العامل على حفظ دينه أو تراثه همٌّ أن يحمي نفسه وأسرته وجاليته التي ينتمي إليها من خطر الانحلال والذوبان ضمن خليط المجتمعات الأخرى، وهمُّه هذا ليس تعبيراً عن تعصّب أعمى أو قبلية عائلية أو تطرف (حسبما يحلو للبعض التسمية) وإنّما هو إدراك واعٍ لفساد المبدأ الفكري الذي يحكم تلك المجتمعات، لذا فإن الموقف منها لا يقوم على العداء لقوميتها أو لجنسها العرقي أو لسبقها الصناعي والتكنولوجي، فإنّ هذه الأمور تتفاوت فيما بينها بينما يبقى موقف المسلم منها ثابت لا يتبدل.

✿ ✿ ✿



سلبيات الهجرة

إنَّ مِنْ أهمِّ سلبيات الهجرة والاغتراب ما نُورِدُهُ فيما يلي :

١ ـ التأثر بمظاهر المادية :

(فالمجتمعات التي تعيش اليوم في ظل المعسكرين المتنافرين الغربي والشيوعي (كلام الكاتب عمر عودة الخطيب قبل انهيار المنظومة الاشتراكية)، تعود في حقيقتها إلى أصل واحد وتحكمها قيمة واحدة فهي مادية مفرطة لا تقيم لغير المادة وزناً)[١].

وهذا مما يُشكِّل في نظرنا خطراً على قيمة الإنسان الحقيقية وجوهره الروحي بتحويله من مخلوق يشعر بالضعف والحاجة حيال خالقه ويدرك أن حياته ليستْ إلاَّ رحلة قصيرة للامتحان والابتلاء، إلى موجود مغتر ينكر غير ذاته ويعمل للسيطرة والتملك والخلود على أساس أن هذه الدنيا في نظره مرتع أخير وفرصة فريدة عليه أن يتملَّى منها بكل وسيلة وحيلة.

وعندما تسقط كل القيم والاعتبارات الحقيقية وتهون كل المحرمات والمقدسات، ويتحول الإنسان إلى حيوان مفترس ينهش من حوله على أساس أن البقاء للأقوى ، فالدين بالنسبة إليه وسيلة لطبقة من الناس

---

(١) المسـألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، عمر عودة الخطيب : ص ١٨٩.

تستخدمه لتخدير طبقة أخرى محتوم عليها أن تثور فلا تفعل ، أو يعتبر أن الدين مجموعة طقوس وترانيم دورها ينحصر فقط في ملء جانب الخوف والوحشة لديه لتربطه بالغيب المطلق حيث يجد كل ما يتمناه محضراً وكل ما حرم منه في الدنيا موفوراً .

وبعبارة أخرى : إنهم قصروا سبل المعرفة على ما يمكن أن يُخضعوه للتجربة والاختبار غافلين بذلك عن مصادر معرفية مهمة باستطاعتها أن تدفع بالإنسان إلى عوالم الكمال والإنسانية العليا وعندها يصبح بإمكانه أن يستشعر سعادة الدنيا ويستهدي الطريق إلى سعادة الآخرة. وهنا يكمن بيت القصيد، فالفجوة تبدو واضحة المعالم وتجاوزها ليس بالأمر السهل، والمهاجر بين طموحين :

الأول : أن لا ينسى نصيبه من الدنيا .

الثاني : أن لا يكون كالأنعام أو أضل سبيلاً .

فالدنيا بكل أنصابها وأوثانها متوفرة في الغرب، وما عليك إلا أن تشدّ الرحال إليها ، ومتى تصل إليها ستجثو على ركبتيك تَحُثُّك على أن تبقى خاشعاً فاتحاً فمك وعينيك وأذنيك مندهشاً وهي تعطيك ما يلذّ ويسحَر ويُطرب، وعندها سيصعب عليك أن تجد مصداقاً واحداً يمارس الحديث الشريف :

« القناعة كنزٌ لا يفنى».

إلا أن تطلّع الإنسان المسلم نحو الجمع بين الدنيا والآخرة يجعله لا ينسى طموحه الثاني بأن لا يكون كالأنعام بل عليه أن يعود لينظر في أنه هل يعيش ليأكل؟ أم أنه يأكل ليعيش؟

وهنا على الإخوة والأخوات أن لا يقعوا في مغالطة استخدام الآيات القرآنية الحاكية عن الهجرة والمهاجرين في مقام تأييد وتأكيد هجرتهم واغترابهم وذلك بجعل أنفسهم مصاديق جديدة لتلك الآيات الكريمات، فالكلمات والألفاظ قد تكون مترادفة، لكن مقاصدها وظروف تنزّلها مختلفة، وهذا ما لا يخفى على كل ذي لب وفطنة.

فمقصد الهجرة المذكورة في القرآن الكريم هو سبيل الله تعالى ، وهدفها صون العقيدة ؛ لئلا تضطره الضغوطات إلى إنكارها والتنازل عن مبادئها ، فتغدو عملية الهجرة عندها ضرورة عقلية وبالتالي حكماً شرعياً واجباً. وأما أن نقوم بنفس الفعل ثم نقع في النتائج المغايرة تماماً، فهذه شبهة ليس لنا أن نقع فيها، وإلا فستنطبق على حالنا أحكام (التعرّب بعد الهجرة) وهي من الكبائر المحرّمة.

«والمقصود بالتعرّب هو العودة إلى الحياة الأعرابية بما تمثله من جاهلية وبُعد عن الدين وعدم الاهتمام بالتربية الدينية المرتكزة على الحكم الشرعي، وقد ذمّ القرآن الكريم حياة الأعراب للسبب الذي ذكرناه وهو مناقضتها لحياة التحضر والتمدن الإسلامي.

وهكذا تبدو الحياة الأعرابية مساوية للجاهلية في باطنها ، وإن اختلفت

معها صورة ومظهراً ، باعتبار حملها لشعار الإسلام . ولذا نرى أن صفة الأعرابية أو التعرّب ـ كلفظ ـ يعبّر عن هذه الحالة الجاهلية المتلبّسة بلبوس الإسلام...

وهكذا نرى أن الأعرابية أو التعرب يعني العودة إلى الجهل وترك التفقه في الدين . بينما الهجرة تعني السعي إلى التعلم والتثقف بالحكم الشرعي . ومن هذا التفريق في المعنى نفهم أن السفر بذاته لا يوصف بأي حكم إلا بعد معرفة ما يترتب عليه من آثار، فإن كان فيه خوف الجهل كان حراماً وإن خلا من ذلك فليس فيه بأس»[1].

وأما الآن فلنستعرض نماذج من الآيات القرآنية المباركة التي تبيّن لنا بوضوح ماهية الهجرة الإيجابية المطلوبة ؛ لنقيّم على ضوئها طبيعة هجرتنا.

يقول عزّ من قائل في كتابه الحكيم :

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[3].

---

(١) دليل المسلم في بلاد الغربة : ص ١٨ ـ ١٩، لصاحبي الفضيلة السيد نجيب يوسف، والشيخ محسن عطوي.

(٢) النحل: ٤١.

(٣) الحج: ٥٨.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[١].

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

فالهجرة بمفهومها القرآني إذن هي في الله وفي سبيل الله تعالى، والواقع المحيط الدافع إليها هو الظلم والأذى، والمهاجرون هم الذين يرحلون إلى الله ورسوله لا إلى ملذاتهم وغاياتهم الشخصية.

ولكننا في نفس الوقت نؤكد أن طلب الرزق والسعي لكسب لقمة العيش والقيام بالمسؤوليات الشرعية تجاه العائلة والأبناء نفقة ورعاية وغيرها، هي أمور لابدّ منها، حتى أن الإسلام اعتبر الكاد على رزق عياله كالمجاهد في سبيل الله، وأوجب النفقة والكسوة والإعالة على الزوج ، الأمر الذي قد يضطره إلى السفر بعيداً بحثاً عن العمل وطلباً للرزق ، وهذا هو سبيل الغالبية العظمى من المهاجرين المسلمين الذين جابوا البحار والمحيطات حتى وصل بهم المطاف إلى مجاهل القارة الإفريقية وأقاصي الأمريكيتين وأطراف الأسترالية ، وساهموا في إنماء اقتصاد الدول هناك ، وفي إشادة أوطان ،

---

(١) آل عمران: ١٩٥.

(٢) النساء: ١٠٠.

خارج أوطانهم وتحسنت أوضاعهم المعيشية عمّا كانت عليه سابقاً ، حتى غدوا أصحاب نفوذ داخل السلطات والحكومات، وسيطروا على اقتصاديات البلدان ودفعوا بمجتمعاتهم نحو الرخاء والازدهار .

وليس في هذا الادعاء مبالغة ، فالمطلع على أحوال المغتربين في غرب أفريقيا مثلاً أو في أمريكا اللاتينية يجد مصاديق كثيرة لما نقول، وهذا بالطبع يعطي صورة حسنة وانطباعاً جيداً ويدفع الكثيرين إلى انتهاج سبيل أقاربهم وأصدقائهم وأبناء بلدهم الذين سبقوهم فعادت بعدهم الأخبار الطيبة عن أحوالهم المادية وأوضاعهم الاقتصادية ؛ مما يجعل الغربة حلماً من الأحلام ؛ ومشروعاً مستقبلياً يستحق الدراسة والاهتمام .

وهكذا كان حتى غدا عدد المهاجرين من بعض البلدان أكبر من عدد المقيمين فيها، وصار المهجر مورداً أساسياً من موارد النمو العمراني والتجاري للبلدان الأم. ولكن هذا لا يعني الخير المطلق أو الإيجابية الشاملة، بل لا بد من استعراض المسألة بشكل موضوعي نعرض فيه الجوانب السلبية للهجرة ومظاهرها على مستوى الفرد والمجتمع .

٢ ـ التأثير السلبي على تربية الأطفال :

وأكثر ما أثار انتباهي وحرك مشاعري هم الأطفال الذين حتّم عليهم القدر أن يكونوا مع آبائهم عند الرحيل ، أو أنهم فتحوا أعينهم ليجدوا أنفسهم في مرحلة ما بعد الرحيل ، في عالم جديد ، ووسط غريب لا يتكلم لغتهم ولا يسلك مسلكهم، لا يحب ما يحبون، ولا يكره ما

يكرهون، بل يدعوهم ليكونوا معه ومثله ومن بنيه، فيلبون دعوته ببراءتهم المعهودة ويندفعون بكل شوق ولا مبالاة للعب في الحديقة العامة مع أولاد الجيران أو زملاء المدرسة الجدد.

وهكذا تبدأ العلاقة ببساطة متناهية، والأهل عندها سعداء فأبناؤهم بدأوا يمارسون ويأنسون باللغة الأجنبية بل هاهُمْ يجيدونها بطلاقة... يا للفرحة !! وأية فرحة هي هذه !؟؟

فالطفل الآخر الأجنبي هو نموذج مصغَر عن أهله ومجتمعه، يحمل طباعهم وخِصَالهم ، ويمارس سلوكياتهم ، التي بدورها تنتقل بيسر وسهولة إلى أقرانه مع اللعب والمحادثة والفنون الأخرى ، دون أن تكون هناك تلك العناية الجدية من الأهل الذين قد يعاينون المفسدة وقد يلحظون الخطر في بدايات الأمور، ولكن ومع مرور الوقت تبدأ عملية الأقلمة والتكيّف مع المناخ الذي يُعايش الفساد والرذيلة على أنها عادات وتقاليد، والمحرمات والمنكرات على أنها مدنية ورُقِيٌ . ويولّي الزمن الذي كان البعض يفكر فيه بانتقاد الموبقات، ليجد نفسه في زمن التراجع والتنازل بفعل مبررات الاضطرار أو مراعاة ومجاراة الوضع القائم خوفاً من أن يتصوّر الآخرون بأننا متزمّتون ومتخلّفون ، ما زلنا نسمع للدين ونطيع له، بينما هم قد وضعوه في زوايا المعابد والمتاحف ، حيث التاريخ الغابر والقصص الآفلة.

وقد لا نلتفت أو ندرك هذه الأمور في أوقاتها، ولكن هذا هو

الذي نقع فيه سواء عن سابق قصد ويقين أم كمجرّد اتباع لسنّة الأولين. هذا ما قد يقع للمكلفين والراشدين الذين عاركوا الحياة بشؤونها وشجونها، وتوفرت لهم ـ على أقل تقدير ـ المسبّبات الظاهرية للهداية والإيمان سواء من تربية أو بيئة ومجتمع فكيف بأطفال أبرياء تفتحت عيونهم وعقولهم وغرائزهم على عالم يناقض عالمهم المفترض بأجوائه الروحية أو التزاماته الشرعية والأخلاقية في كثير من التفاصيل الحياتية التي قد لا تعني لنا شيئاً مهماً في حجمها وشكلها ولكنها ذات أثر كبير في تكوين وصقل النفس البشرية، فها هو نبينا الأكرم محمد ﷺ يقول:

« كل مولودٍ يولد على الفطرة، إنما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه ».

وعلينا هنا أن لا نفهم اليهودية أو النصرانية كرسالة سماوية فحسب، وإنما كحالة انحراف متأخرة عن الفطرة الإلهية التي فطر الله الناس عليها. ودور الوالدين هنا أشبه ما يكون بدور المزارع الذي بُذرت له الأرض، ولكن بذرها فحسب لا يكفي للحصول على زرع يانع أخضر، يبهج بلونه القلوب، ويملأ الغلل بالحبوب، بل لا بدّ من بذل الجهد والعناية في سقايته ورعايته وتشذيبه وتقليمه وتوفير الأجواء الملائمة لنموه نمواً سليماً لا اعوجاج فيه، وإلا فإن البذر يضمحل في التراب ويهترئ ولا يُرتجى منه خيرٌ أبداً.

ـ فهل يعلم الآباء المهاجرون إلى الغرب، بماذا تُسقى قلوب أحداثهم؟

ـ وفي أي نوع من التربية تنمو وتربى فلذات أكبادهم؟

ـ وأية ظروف وأجواء تلاقيها هذه السنبلات الطرية من الأجيال الصاعدة؟

ـ أم ان انشغالاتنا الكثيرة واهتماماتنا الكبيرة بجمع المال من كل حدب وصوب وتكديس الثروات في ظل مجتمعات عابدة للمادة مسبّحة بحمدها مقدّسة لها، هذه الانشغالات لا تعطي فرصة للتفكير بمتطلبات الأبناء الروحية والتربوية أم أنَّ الحكمة المشهورة بأن «فاقد الشيء لا يعطيه» قد انطبقت علينا ، وليس يملكُ فاقدُ الشيءِ أن يجودَ به ـ ولو على مستوى التفكير ـ لغيره !.

ـ فيا تُرى ما قيمة أن يمتلك أبناء اليوم ـ رجال المستقبل ـ اللغات الأجنبية والأموال وكل مظاهر الدنيا البرّاقة وهم يفقدون معنى الاحترام والحب والتحنن على الآخرين ، وكذا المعاني الأخرى التي تُعطي للإنسان قيمته الحقيقيّة ، وتقرِّر للمسلم مصيره الأخروي ؟

٣ ـ التأثر بالثقافة واللغة الأجنبية :

لقد أصاب مسؤول دائرة الهجرة في كندا، عندما قال أنهم لا يتوقعون للجيل الأول أو الثاني من المهاجرين أن يتأقلم ويذوب في المجتمع الجديد، إلا أنهم متيقنون أن الجيل الثالث على الأقل سيكون نسخة طبق الأصل عن الواقع والحياة والتقاليد والعادات الكندية، نعم لقد أصاب لأننا

الجيل الثاني لا الثالث قد دخل طور التأقلم والتغرب.

وإلا فبماذا نفسّر افتقاد الحديث باللغة العربية وسط الجيل المفترض منه اتقانها أباً عن جد، بل قد شهدنا الأبناء وقد نجحوا في جر آبائهم إلى التكلم باللغة الأجنبية من فرنسية أو إنكليزية أو غيرها.

وعندما تسأل بعضهم عن سبب عدم التكلم مع الصغار بلغتهم الأم، يأتي التبرير بأن قدرتهم على الفهم والتجاوب مع الكلام الأجنبي أكبر بكثير منها في العربية وبالتالي واختصاراً للوقت الضائع تتحول اللغات الأجنبية إلى لغات أهلية ميسورة شائعة الاستعمال بينما تصبح العربية، لغة القرآن الكريم والتاريخ المجيد، ـ وبتعبير أحد أولئك الأطفال ـ: أشبه باللغة الصينية، أي غريبة كل الغرابة ، ومعقدة ، أيما تعقيد ليس لها في أذهانهم أي مُتّسع ، ولا على ألسنتهم استساغة. فلطالما جلسوا ساعات وساعات أمام شاشة التلفاز وبرامجها الساحرة ، فلم يجدوا للعربية أي ذكر أو أثر ، بل وجدوا ما يسخر منها ومن أهلها، كما في الأفلام التصويرية التي أنتجتها هوليوود مؤخراً وعشرات من الأفلام التصويرية وغيرها التي يتم فيها إظهار الإنسان المسلم والعربي كرمز للغباء والتخلف والجنس والجريمة.

كل هذا، والأهل في غفلة عمّا يدور ويجري في تلك الشاشة الصغيرة، وجلّ ما يتصورونه أنها ملهاة مسلّية للصغار، بينما هي في الواقع أداة تثقيفية وتربوية مهمة تلعب دوراً خطيراً في صقل وصياغة العديد من المفاهيم والأفكار الوقائع والتخيُّلات .

ولن ندخل في تفاصيل أخرى ؛ لأن الحديث عن السلبية الكبرى في حياة المهاجرين لم ينته بعد ، بل سنتابع فيه حتى تتضح لنا معالم الأخطار وجهاتها ومظاهرها بمختلف أشكالها وصورها.

وليس التلفاز إلا مثالاً ابتلائياً واضحاً، أحببت الإشارة إليه ؛ لننتبه إلى المسؤولية العظيمة التي أُلقيت على عاتقنا وهي أمانة أرواح رزقنا الله إياها لتكون جزءاً من الامتحان الإلهي العام ، حيث يؤكد القرآن الكريم على ذلك بقوله :

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[١].

والفتنة تعني هنا الامتحان والاختبار، ولكي لا نسقط أو نرسب فيه علينا أن نأخذ مسألة تربية الأطفال بقدر أكبر من المسؤولية، فها هو أمير المؤمنين علي عليه السلام يبيّن لنا حقيقة الأمر في قوله :

« إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته »[٢].

فمن الملقي ـ يا ترى ـ في أراضينا الخالية؟

إنه أكثر من طرف وجهة وفق اختلاف الزمان والمكان، فمرة الأسرة ، وأخرى المجتمع والمحيط ، وثالثة المدرسة ...[٣].

---

(١) التغابن : ١٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٩٢.

(٣) ولمزيد من التفصيل حول العوامل الفاعلة في تكوين شخصية الفرد يرجى مراجعة الفصل الثالث من هذا الكتاب.

آثار الهجرة

مما لا شك فيه أن هنالك فوائد علمية ومادية تترتّبُ على الهجرة، وهو أمر طبيعي ملتفت إليه ، ولكن ما لا يلتفَت إليه هو وضعية الأطفال الذين أصبحوا رجالاً ونساءً، وإليك ما نتوقعه وما رأيناه فيما يلي :

١ ـ على صعيد الفرد .

أ ـ المضاعفات الفكرية :

يشكّل الانحراف الفكري أخطر مراحل الانحراف في حياة الشباب وذلك يبدأ من التشكيك في أفكاره ومعتقداته ، ونسف شخصيته وهويته المسلمة ، وصولاً إلى مرحلة التمرد والعصيان الفكري ضد كل الأفكار والقيم التي اعتنقها وتشرّبها منذ صغره .

ب ـ المضاعفات الأخلاقية :

حيث ينبذ هؤلاء المهاجرون الأخلاق الحميدة التي يؤمن بها مجتمعهم الأم، ويتقمّصون أخلاقيات المجتمع الذي عاشوا فيه كبديل أفضل في نظرهم ؛ فتتغيّر عاداتهم وممارساتهم حتى طريقة لباسهم ومأكلهم ومشربهم إلى طريقة حديثهم مع الآخرين، إضافة إلى انعدام الوازع الديني واعتيادهم تعاطي الخمور والمفاسد وما إلى ذلك... فيتحوّلون

إلى عناصر خطرة من الممكن أن تؤثر في عدد من الأصحاب والأقارب إلى أن يحدث الاختراق الاجتماعي حيث مجاميع عدة على شاكلتهم .

ج ـ المضاعفات الصحية :

فالانحراف الخلقي الذي تحدثنا عنه يسبب أنواعاً كثيرة من الأمراض النفسية والجسدية ، ومنها الانهيار والقلق النفسي بسبب الشعور بالذنب لاقتراف المحرمات والغرور والتكبّر ورفض كل ما هو مرتبط بالمجتمع المسلم ، فيلجأ إلى تغيير اسمه مثلاً إلى اسم أجنبي ؛ لينسخ معالم شخصيته الماضية بالمطلق ويندمج في مجتمع الغرب تمام الاندماج.

أما على صعيد الأمراض الجسدية فيكفي أن ينقل إلى أهل ملته مرض فقدان المناعة المكتسبة وهو ما يُرمز إليه يختصر في الإنجليزية بـ (الإيدز) ، مما يُشكل خطراً محدقاً بالذين من حوله بسبب إمكانية انتقاله وانتشاره من خلال أكثر من طريق .

٢ ـ على صعيد المجتمع والأمة .

أ ـ تحريف وتشويه البناء الفكري للأمة وذلك عبر استقدام الفكر والثقافة الغربية إلى بلادنا مع المغتربين العائدين .

ب ـ خلق التبعية للشرق والغرب في كل مناحي الحياة.

ج ـ خلق طابور خامس في المجتمع يعارض ويقاوم النمو الحضاري القائم على أسس دينية.

ورغم أن هذا لا يعتبر إحاطة كاملة بالأخطار القائمة من خلال عمليّة الهجرة والعيش في بلاد الغرب إلا أنّه كافٍ لإيضاح الصورة أمام الكثيرين الذين قرّروا الهجرة أو يعملون لها دون الأخذ بعين الاعتبار بكل هذه النتائج المُترتّبة، وقد ركزنا في حديثنا على الأطفال لأنّهم الأكثر قابلية للذوبان والانحلال في البيئة الأخرى، ولأنّهم الضحيّة الأولى لقرارات أولياء أمورهم في تغريبهم من دون أن يكون لهم ذنب، ومن دون أن يلتفت أحد إلى ذلك، فإننا نغدق عليهم الطعام والشراب ونوفر لهم أجواء اللعب واللهو، وننسى الجانب الأهم في حياتهم وحياة كل البشر، ألا وهو غذاء الروح، فهم بحاجة أيضاً إلى من يساعدهم ويهتمُّ بهم من أجل ضمان حسن عاقبتهم في الآخرة، فهم يحبون أن تنمو فطرتهم على الإيمان ؛ لأنه هو اتجاههم وحسّهم الداخلي العميق، وهم بحاجة إلى من يقصّ عليهم قصص الأنبياء والأولياء والصالحين ؛ لأنهم ضجروا من القصص الخرافية التي يملأها الرعب والجبروت المصطنع ، واكتشفوا زيف الأفلام وتركيباتها السحرية وأبطالها الوهميين.

فما هو ذنبهم عندما يسألهم أحد الأساتذة ـ وهو يلتقيهم يوماً في الأسبوع ليدرّسهم اللغة العربية والدين الحنيف ـ : «ماذا تعرفون عن الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله؟» .

فلا يجيبه أحدٌ منهم ، صمتٌ مطبق، ثم يسألهم ثانياً : «ماذا تعرفون عن المغني الأمريكي (مايكل جاكسون)؟». فيتعالى الصياح ، كلٌّ يريد أن

يسبق الآخر بجوابه ليشرح ويفصّل ، بل وربّما ليقدّم أُطروحة !! ، والأستاذ يهزأ ضاحكاً وساخراً من الزمن الذي جعل هذا المغني يعيش في أذهان أطفال المسلمين وعقولهم ويحظى باهتماماتهم بينما الحسين ﷺ سيد شهداء أهل الجنة وريحانة رسول الله ﷺ وأبو الأحرار يجابه بالصمت والجهل والضياع، فمن سبّب ذلك يا ترى لهؤلاء الأطفال الأبرياء؟.

لا يسعنا أمام هذا الواقع الأليم سوى أن نذكّر أنفسنا بقول المولى تبارك وتعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١].

وبما أننا مأمورون بنص الآية الكريمة بأن نقيَ أنفسنا وأهلينا ؛ فلا بدّ أن نفكر بإيجاد السبل الكفيلة بحفظ ديننا والتزاماتنا الشرعية ؛ لتكون سبب نجاتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

❁ ❁ ❁

---

(١) التحريم: ٦.

حلول وتوجيهات

أ ـ على مستوى الفرد :

١ ـ ننصح كلَّ مهاجر أو مغترب أن يسارع عند دخوله عالم الاغتراب إلى التعرف على إخوانه من المسلمين والاتصال بهم ؛ كي يكونوا أدلاءه ومرشديه في التعرف على مواطن الفساد والصلاح في مجتمعه الجديد.

٢ ـ الحفاظ على إقامة الواجبات الشرعية بحذافيرها ، وعدم التنازل عنها أو التهاون فيها بفعل حجج وتبريرات واهية يخلقها المشككون وأدعياء النصح من حوله.

٣ ـ اجتناب أصدقاء السوء ، وعدم مخالطة الفسّاق من المسلمين ؛ لئلا تؤثر أجواؤهم على أجوائه ، لا سيّما في الأشهر الأولى لوصوله حيث الشعور بالحاجة للآخرين.

٤ ـ التردّد على المساجد وأماكن الإرشاد والتبليغ ، والمشاركة في النشاطات الإسلامية ؛ من أجل تأمين الأجواء الإيمانية العاصمة من الوقوع في الوحشة والضياع . وخاصة الدعوي والتبليغي منها ؛ لما يخلق لدى الإنسان من مناعة روحية تبقيه في يقظة تامة نوعاً ما .

٥ ـ السؤال عن أماكن بيع المأكولات الحلال وأماكن العمل الحلال

وأماكن السكن ذات الأكثرية المسلمة ، والابتعاد عن المناطق السكنية الموبوءة بالفساد والمفسدين ، والحصول على الدليل المسلم إن وجد في البلد الذي يذهب إليه.

ب ـ على مستوى العائلة :

١ ـ ننصح الأهل بالتدخل لاختيار أصدقاء أو زملاء أولادهم ، ومعرفة محيطهم ، وضبط علاقاتهم جيداً.

٢ ـ على الأهل أن يسعوا لإلحاق أولادهم بالمدارس الإسلامية ، وتعويدهم في المنزل على التحدث والتخاطب باللغة العربية ، وعلى التحلي بالآداب الإسلامية ، من السلام والتحية إلى الملبس والمسلك، وتعليمهم الصلاة، وتعريفهم على ما في العقيدة الإسلامية من أصول ، كالوحدانية ورفض الشرك ، وتعريفهم بالأنبياء والأوصياء والشهداء والصلحاء عبر التاريخ.

٣ ـ تأمين أكبر عدد ممكن من القصص والكتب والأفلام والألعب الإسلامية المفيدة والهادفة ، وعدم السماح بقراءة أي نوع من المنشورات أو مشاهدة أي نوع من الأفلام التي تحتوي على العنف أو الجنس أو الجريمة.

٤ ـ إعطاء الوقت الكافي للأولاد سيّما من الأب الذي يُمضي أكثر وقته خارج البيت بحكم عمله، وذلك من خلال الجلوس معهم في فترة السهرة وما قبل النوم وعند الصباح وما قبل ذهابهم إلى مدارسهم، كما

يجب الاستماع إلى مشاكلهم وأسئلتهم ، وتزويدهم بالنصائح والتعليمات والإجابات في جوٍّ من العطف والحنان .

٥ ـ تذكيرهم بوطنهم الأم ، وتشويقهم إليه ، وتعريفهم على أقاربهم وأولاد جاليتهم وعلى العادات والتقاليد المتّبعة ، وإقناعهم بضرورة العودة إلى بلد آبائهم وأجدادهم مهما طال الاغتراب .

٦ ـ تشجيع الآباء لأبنائهم على الانخراط في الكشاف المسلم والنشاطات الشبابية الإسلامية والمخيمات التي تحصل عادة في أغلب مدن الغرب الآن .

ج ـ على مستوى المجتمع :

١ ـ ينبغي تشكيل جمعية أو مؤسسة تهتم بشؤون الجالية وأبنائها على مختلف الصعد .

٢ ـ بناء المدارس والمراكز التي تؤمّن جمع أبناء الجاليات الإسلامية صغاراً وكباراً وتدفعهم إلى التعاون والتآزر والتوحّد من خلال العقيدة والمحبة لا العصبيات والقوميات البغيضة .

٣ ـ إحياء التراث والمناسبات الدينية وحفظ الثقافة الإسلامية الأصيلة.

٤ ـ إيجاد النوادي الاجتماعية والرياضية من أجل جذب الشباب إلى مختلف المهارات والأنشطة .

٥ ـ إيجاد الروابط والعلاقات مع مؤسسات الدولة والجاليات والجمعيات الأخرى ، والاستفادة من تجاربهم وطرقهم الإدارية ، والمشاركة

في الانتخابات والعمل على صنع القرار السياسي لذلك البلد عبر الانخراط في الأحزاب السياسية الجيدة ، وترشيح نواب وأعضاء مسلمين ، ودعمهم من أجل الدفاع عن حقوقهم وحقوق إخوانهم في البلدان الأخرى.

٦ ـ العمل بشكل فعال ونشط على إحياء العمل الدعوي والتبليغي بين أهل البلدان التي يتواجد فيها المسلمون ؛ لما لذلك من دور في تقوية الجالية وزيادة لعدد المسلمين ، ولما لذلك من قوة وتأثير على المدى البعيد ؛ فلا يبقى الإسلام محصوراً في إطار المهاجرين، بل يصبح جزءاً من مجتمعات الغرب أيضاً.

إن ما ذكرناه يبقى يدور في فلك الأفكار العامة والخطوط العريضة، ولا بد للمهتم بالأمر أن يتابع التفصيلات ويعايش التحديات كي يخرج بنظام وقاية متكامل لا عوَجَ فيه.

ولعل فهمنا لموقف الإسلام من الآخرين بمختلف وضعياتهم سواء كانوا من أهل الكتاب أو غيرهم وكيفية العلاقة معهم والعيش فيما بينهم تجعلنا نملك التصور الواعي والسليم لنظام الوقاية السالف الذكر، وبما أنَّ هناك الكثير من التفاصيل التي تكوّن المادة العملية التي يُمكن للمهاجر المسلم أن يستخدمها في تفاصيل حياته المختلفة من مأكل ومشرب أو ملبس أو مسكن أو مكسب ؛ حيث نرى أنه ما من واقعة إلا وفيها للشريعة الإسلامية حكم، لذا لا يمكننا أن نجتهد بآرائنا أو نعمل بحسب ما تهوى أنفسنا لتحديد موقفنا من مختلف الأمور والقضايا ، بل يجب علينا الرجوع إلى الحكم الشرعي في المسائل ؛ لكي نكون أبرياء الذمة في عملنا كمقلّدين باتباع رأي أهل الخبرة والمعرفة.



العوامل الفاعلة

في

تكوين شخصية الفرد

العامل الأول: الأسرة

على هذا الصعيد اعتبر الإسلام أن : « من واجب الآباء العناية بتربية أبنائهم والحرص على سلامة توجيههم، فالتربية الإسلامية صيانة وتحصين لهم من الانحراف والسقوط، وإن الأب الذي يُهمل تربية أبنائه يساهم في دفعهم إلى الهاوية، وبذلك يكون شريكاً ومساهماً فعّالاً فيما يؤولون إليه من أوضاع شاذة وحالات سلوكية مخربة، لذا حمّلته قوانين الجزاء الإسلامية مسؤولية ابنه غير البالغ والذي يعيش في كفالته واعتبرته مسؤولاً عن أي ضرر مادي قد يُلحقه بالآخرين، ليتم التناسق والتكامل بين القوانين والمسؤوليات عدا المسؤولية الجزائية الكبرى التي يتحملها الأب أمام الله سبحانه يوم يقوم الناس لرب العالمين»[1].

ولعل الذي وردنا عن الإمام علي بن الحسين ﷺ فيما يُسمى بـ (رسالة الحقوق)، فيه ما يؤكد بوضوح مسؤولية الأب أمام أبنائه. فالإمام ﷺ في معرض ذكره لحقوق الولد على أبيه يقول :

« وأما حق ولدك فتعلم انه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره ، ومسؤول عمّا وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه والمعونة

---

(١) معالم التربية الإسلامية، دار التوحيد: ص ٢٠٠.

له على طاعته فيك وفي نفسه فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه...»[1].

وعدم ذكر الأم هنا لا يعني إبعادها عن المسؤولية التربوية، بل على العكس تماماً ؛ فهي تتحمّل القسط الأوفر والنصيب الأكبر منها، وإنما ذُكِرَ الأبُ في نص الإمام ﷺ لكونه الطرف الذي يبادر عادة في مهمة تأسيس الأسرة وما يلزمها من اختيار الشريكة المناسبة لديمومة هذا البناء واستمراريته ؛ لذا كانت المسؤولية الأولى على عاتقه لأن مسألة الاختيار تلعب دوراً مهماً في تحديد طبيعة العوامل المؤثرة في خُلق وخَلق النسل والذريّة، والحديث النبوي الشريف يشير إلى هذا المعنى في قوله ﷺ : **«تخيّروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين»**[2].

وفي حديث آخر ينهانا نبينا الأكرم ﷺ عن اختيار (خضراء الدمن) أي المرأة الحسناء في منبت وتربية السوء[3] ؛ لأن هذا السوء لا يعكّر صفو العلاقة الزوجية ويدمرها فحسب، بل ينتقل طبعاً أو تطبُّعاً إلى الأبناء.

---

(١) تحف العقول: ص ٢٦٣.

(٢) دعائم الإسلام: ج٢، ص٢٠٠. وعنه في «مستدرك الوسائل»: ج١٤، ص٣٨٩. وعوالي اللآلي: ج١، ص٢٥٩ وج٣، ص٣٠١.

(٣) الكافي للشيخ الكليني : ج٥، ص٣٣٢، وكتاب من لا يحضره الفقيه : ج٣، ص٣٩١ وغيرها.

فالعامل الوراثي له دوره الذي لا يُنكر كما أسلفنا ، وللتربية البقية الباقية ، وتضافرهما معاً يشكل العامل الأكثر تأثيراً في صياغة شخصية الطفل في المراحل المختلفة لنموِّه الجسدي والفكري والنفسي؛ وعلى ذلك فلا بد للرجل الراغب في حياة سعيدة أن يُحسن :

أولاً : انتقاء الزوجة الصالحة .

ثانياً : أن يكون في مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه أبنائه.

وعندها ستصلح حياته وأحواله ؛ لأن سلامة المقدمات ستؤدي حتماً إلى سلامة النتائج، فما الأبناء إلا الثمرة الطبيعية لجهود وتضحيات وعطاءات آبائهم ، وما يصيبهم من خير أو سوء إنما يصيب ذويهم وأولياء أمورهم. وفي ذلك يقول معلمنا الأول رسول الله محمد ﷺ :

«من سعادة المرء الزوجة الصالحة»[(١)].

وفي حديث آخر :

«من سعادة الرجل الولد الصالح»[(٢)].

وهنا لا بدّ من الإشارة ـ مرة أخرى ـ إلى أن (التلفاز) الذي غزا بيوت المسلمين وأصبح من أثاثاتها الضرورية، بدأ يحتل الدور التوجيهي

---

(١) الكافي: ج ٥، ص ٣٢٧.

(٢) الكافي للشيخ الكليني : ج٦، ح٦.

المفترض بالأهل القيام به يومياً، فإنه يعمل على جذب انتباه الأطفال واستهلاك أغلب أوقاتهم بمشاهدة أفلامه وبرامجه ، مما يحرمهم من الفرصة اليومية للقاء أهلهم ، وبالتالي حرمانهم من التملّي بمزيد من العاطفة والحب والحنان ، وتلقّي النصائح والإرشادات والتعليمات المختلفة في شؤون الدين والدنيا.

وفي هذه الحال ينعدم الشعور بالمسؤولية والمحاسبة والخوف من تأنيب الأهل وترهيبهم، ويمضي النهار هكذا سريعاً كلمح البصر ، ويعسعس الليل ، ويستسلم الصغار ثم الكبار للنوم لاستقبال يوم جديد يُعاد فيه تكرار نفس الطريقة والاسلوب في تقطيع الأوقات وتمريرها.

وأمام هذا الواقع لا يمكن الاكتفاء ـ كما يفعل بعض الأهل اللامبالين ـ بتحميل مسؤولية التربية وتعليم أصول الأخلاق واللياقات للمعلّم في المدرسة فقط ، بل يجب على الأبوين أن يولوا الأبناء العناية والاهتمام اللازمين. وفي كثير من الأحيان يكون سبب عدم قدرة الأبوين على منع الأولاد من القيام بأعمال قبيحة هو أنهما بالدرجة الأولى لا يسلكان السلوك الصحيح في حضورهم، فإذا استطاع الأبوان أن يقوما بدورهما على الوجه الصحيح يمكن حينها الوقوف بوجه ضياع الأبناء ضياعاً نهائياً، كذلك الحال فيما لو لم تتطابق أفعالهما مع أقوالهما فعندئذ لن تمثّل لهم نصيحتهما شيئاً.

(فمثلاً كثيراً ما يتفق أن يأمر الأب ابنه أن يقول للشخص الواقف على الباب : أبي ليس في البيت، والأم التي لا تفتأ تنصح الأولاد باجتناب الكذب وقول الصدق قد تخطئ في أمر ولا تريد كشفه للأب فتُشهد ابنها أمامه وهو يعلم أنها كاذبة... وحتى إذا لم يكن الوالدان معنيين بتربية أولادهم، فعليهما على الأقل أن يمتنعا عن ارتكاب أفعال غير لائقة أمام أبنائهم لكي يكونا قدوة حسنة لهم، يتعلمون منهما الصدق والانضباط وحسن السلوك)[1].

وفي بعض البلدان الغربية يُمنع الوالدان من استخدام الضرب كوسيلة ولو اضطرارية للتربية والتهذيب ، بل إنّ الأولاد يعلمون في المدارس أنهم في حال تعرّضهم لأي شيء من هذا القبيل بإمكانهم إبلاغ الشرطة بذلك ، والشرطة بدورهاتحقق في الأمر ، وقد تجرّ الوالدين إلى المحاكم، فإذا ما ثبت لهم صحة الأمر فلهم أن ينتزعوا الولد من والديه، وهذا ما يُساهم فعلاً في خلق فكرة عند الطفل أن أحداً لا يمكن أن يتعرّض له بعقاب مهما فعل حتى الحكومة وسلطاتها طالما هو أصغر سناً من الحد القانوني لسن الرشد والتكليف، وهذا وإن كان يُقصد به حماية الطفل من اعتداءات أبويه عليه ـ سيما أن هذا يحدث اعتيادياً عند الغربيين تحت وطأة الخمرة والمخدرات ـ إلا أنه يشجّع الطفل عملياً على عدم الاكتراث بعواقب أعماله الوخيمة.

---

(١) مجلة المنطلق: العدد ٤٤ ـ ٤٥، ص ٢٥ ـ ٢٦.

والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة ، ومنها ما الآباء كان قد هاجر من لبنان مع أولاده إلى أمريكا قبل أكثر من سبع سنوات، وبما أنه لم يكترث منذ البداية بمسألة تربية الأولاد وخطورة الأجواء الغربية على نشأتهم، فإنه واجه المأساة ودفع الثمن عندما شبّوا وصاروا فتياناً وفتيات. ففي إحدى الليالي أراد هذا الأب أن يضطلع بدوره المفترض فأراد أن ينصح ابنته ـ وهي في الثامنة عشر من عمرها ـ أن تقلل الخروج مع صاحبها في أنصاف الليالي ؛ كي يتسنى له الجلوس معها مطولاً والحديث إليها، فما كان منها إلا أن نهرته صارخة بأعلى صوتها أن يكف عن التدخل في شؤونها الخاصة ، مُبديةً له تعلقها الكبير بصاحبها الأمريكي، ومُفضلةً الخروج معه إلى المراقص والملاهي على الاستماع إلى مواعظ أبيها تلك المواعظ التي هو نفسه لا يعمل بها، فما كان منه إلا أن بادر إلى منعها من الخروج بالقوة، إلا أن الإبنة اليافعة نفّذت الدرس بسرعة ضاربة الأرقام التلفونية الثلاثة (٩١١) ، فوصل رجال الشرطة حالاً وبعدما استمعوا إلى تفاصيل ما جرى اعتبروا الأب مذنباً بتدخله في أمور ابنته التي بلغت السن القانونية التي تخولها ان تفعل ما تشاء ، طالبين منه أن يغادر المكان معهم إلى مركز التحقيقات والجنايات، فقضى الأب ليلته تلك في سجن التوقيف ، بينما ابنته تنتقل من يد مخمور إلى آخر وكأن شيئاً لم يكن .

ومجالس المغتربين وسهراتهم عامرة بأمثال هذه القصص ، بل بما هو أدهى من ذلك وأمر، فكم من واحدٍ من أبناء العائلات النبيلة والشخصيات

المرموقة قد تحوّل إلى واحدٍ من مدمني الخمور والمخدرات وهواة الليالي الحمراء والزرقاء وكاسبي أموال الربا ، وإلى ما هنالك من النماذج المغزية والمؤلمة. ولا أظن أن الندم في تلك الساعة يحل معضلة ، أو يفرج هماً ، بل العاقل والحكيم هو الذي يتدارك الأمور قبل وقوعها ، ويتعلم من تجارب الآخرين ، ويعمل على تجنب العيش وسط هذه المجتمعات، ويقبل بالعيش في وطنه وبين أهله رغم كل الصعوبات الأمنية والمادية لأنه كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ :

«وما شرٌّ بِشَرٍّ بعده الجنّة، وما خيرٌ بخير بعده النّار»[1].

العامل الثاني : المجتمع

للمجتمع دور ومسؤولية في تربية أفراده، فالمجتمع بما فيه من أعراف وتقاليد وثقافة ومفاهيم واسلوب حياة ودين وقيم يؤثر بشكل قويٍّ على شخصية الفرد ، وذلك من خلال الاختلاط الاجتماعي وبناء العلاقات من صداقة ومصالح وقرابة، فالإنسان اجتماعي بطبعه ، يحمل أوصاف الجماعة ويعايش أجواءها متأثراً ومؤثراً.

لذلك يجب تنبيه الأبناء وإبعادهم عن أصدقاء السوء وتجمعات المفسدين ومراكزهم التي يتطاير الشرر منها ؛ لئلا تنتشر العدوى ويعمّ الانحراف ما دام المجتمع غير إسلامي تغيب فيه مسألة الأمر بالمعروف

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٨ ص٢٤.

والنهي عن المنكر تماماً ، الأمر الذي يؤدي إلى غياب الرقابة الاجتماعية ، وغياب الخوف مما نسميه في بلدانا (كلام الناس) و(السمعة والصيت) وما شاكل ذلك من العناوين التي نتحرّز دائماً في قبالها ونحسب لها ألف حساب . ولا نقصد بالمجتمع غير الإسلامي ذلك المجتمع الذي لا يرفع الإسلام كشعار، فلسنا نعيش عقدة الأسماء بقدر ما نعيش خوف النتائج المترتبة عليها، فمجتمعاتنا ورغم أنها ليست إسلامية مائة في المائة وذلك نتيجة لحركات التغريب والتشريق التي صُدّرت إليها وأفسدت العديد من أفرادها ؛ إلا أنها تبقى أسلم وآمن من مجتمعات الغرب وما فيها من مشكلات وتعقيدات .

(وإذا أردنا أن نأخذ المجتمع الأمريكي كمثال فإننا نقرأ في الإحصائيات الصادرة في السنوات الأخيرة أن نسبة الطلاب الذين يتعاطون المخدرات في أمريكا تزيد على (٦٠٪) وأنهم يكونون هواة مخدرات قبل سن السابعة عشرة، وأما عدد المدمنين على الحشيش والماريجوانا في أوساط الشعب الأمريكي فتبلغ (٢٥) مليون نسمة وأن أمريكا تنتج كل عام (١٢) مليار قرص مهدئ للأعصاب ـ وجاء وفي تصريح لمركز الدراسات الإحصائية في واشنطن أن دخل البغاء في أمريكا لعام (٧٩ ـ ٨٠) كان أكثر من ميزانية وزارة العدل الأمريكية وهي المكلفة بمكافحة هذه الرذيلة كما يقول التقرير.

ويفيد تقرير آخر أن عدد الشاذين جنسياً في مدينة (دالاس) بولاية تكساس وحدها يبلغ (٤٠) ألف شاذ من بينهم القضاة والمحامون والأطباء، وأما عن التفكك الاجتماعي والأسري فحدّث ولا حرج فلا شيء يربط

الناس بعضهم ببعض سوى المادة والمصلحة المادية ... وقد حاول العديد من الإخوة خلال فترات حياتهم التي قضوها في أوروبا وأمريكا ألاّ تربطهم بأي غربي أدنى نوع من علاقة الصداقة والمعرفة، فالمادة قضت على كل شيء في الغرب ؛ فالأب يطرد أبناءه عند بلوغهم سن الرشد ويدعوهم للاعتماد على أنفسهم في تدبير أمور حياتهم قبل مقدرتهم على ذلك ؛ فتتفكك الأواصر العائلية ، ويتشرد المراهقون والمراهقات في الشوارع ، لا ملجأ لهم ولا مهرب ، إلا بالسكن معاً ، وتقاسم المصاريف المعيشية ليتمكنوا من الاستمرار، هذا إذا حالفهم الحظ وتيسّر لهم العمل ، وإلا فالتسكع في الشوارع والطرقات ، والتسول على زوايا أسواقها هو مصيرهم المشؤوم الذي ينتظرهم، والأم هي الأخرى دفعها خوفها من المستقبل إلى ترك بيتها الزوجي وأولادها ، والالتحاق بسوق العمل وسط عالم متوحش من الرجال الذين جُلّ همهم في افتراس شرفها ونهش كرامتها ؛ ولذلك لا غرابة أن تجد عدد عمليات الإجهاض في الولايات المتحدة لعام (١٩٨٢م) قد بلغ (١٢) مليون حالة معظمها من قبل زوجات وربّات بيوت، والنصف الآخر من قبل مراهقات دون سن الخامسة عشر).

وكذا لو نظرنا إلى الإحصائيات الرسمية الصادرة في كندا ؛ البلد الذي يعج بالمهاجرين ، والذي يطمح إليه العديد من أبناء بلادنا المسلمة . فإننا نجد أن في العام ١٩٨٧م حصلت (٥,٩١٦) حالة طلاق بسبب الخيانة الزوجية ، وفي عام ١٩٨٨م وصلت حالات الطلاق الإجمالية إلى(٧٩٨٧٢)

حالة. وفي عام ١٩٨٩م أشارت التقارير الرسمية إلى أن (٨٧) من كل مائة حادثة جريمة تنقل إلى مراكز الشرطة في كندا كانت حالات اعتداء ، وأن معظم هذه الاعتداءات تكون على الأعراض، حيث شكلت الاعتداءات الجنسية مع استخدام السلاح (٣٦٪) من مجموع الجرائم المسجلة. وفي المرتبة الثانية تأتي السرقات حيث بلغت في عام ١٩٨٩م حوالي (٢٥,٧٠٩) من نوع السرقات النوعية) .

ولنا أن نتساءل أمام هذه الحقائق والأرقام الإحصائية :

إلى أين يذهب إخواننا المهاجرون أو الذين يخططون للهجرة كغيرهم؟ . هل إلى رمي أنفسهم وأبنائهم في خضم هذه النماذج المخيفة من المجتمعات الغربية والتي كثيراً ما يغرينا بريقها الأخّاذ ؟!.

أم تُراهم سيعودون إلى رشدهم يُفضّلوا البقاء في أوطانهم صابرين محتسبين في سبيل الله تعالى ، يرعون أبناءهم ، ويعدّونهم من أجل تحمل المهام والمسؤوليات الجسام المفترض عليهم القيام بها اتجاه رفع الغبن والحرمان وتحرير الأرض من المحتلين، ويكفي أن يتذكروا تلك اللحظات الأخيرة من حياتهم ، حيث يجدون من أبنائهم من يداري أحوالهم عند المرض أو الموت وهذا أمر يُحسد عليه المرء في بلاد الغرب .

إن الأقارب والجيران والأصدقاء في أوطاننا يجتمعون في الأعياد والمناسبات إظهاراً لودهم بعضهم لبعض وحرصاً منهم على سلامة علاقاتهم وتوطيدها، ففي أي مجتمع وفي أية أمة نجد مثل هذه الوشائج والروابط ؟.

إنّ من الخطأ أن نتصوّر أنه لا يوجد في مجتمعاتنا إلا التخلف والجهل والمرض والحرب ، بل بل إنّ علينا أن نتذكر الحسنات أيضاً، وأن نعمل متعاونين على حل السيئات، أما الهروب من الواقع وترك البلاد فلن يدفع عنا الجهل والمرض والتخلف ، ولن يقيم لنا السلام ، بل ذلك سيزيد المشكلة ويُضاعفها ؛ فإنّ الساحةَ بذلك ستخلف من القدرات والطاقات ، وتصبح مطمعاً سهلاً للطامعين ، وتتكرّس تبعيتها للخارج أكثر فأكثر نتيجةً فقدانها للأدمغة المُخططة والشباب المثقف الواعي.

ونحن وإن كنا نعلم أن أغلبية المهاجرين يفكرون بالعودة إلى أوطانهم بعد فترة من الزمن ، ويعلقون ذلك على تبدل الأوضاع وتحسنها، إلاّ أننا نعلم أنهم وبعد التأقلم مع الجو السائد هناك ، وإحساسهم بالفرق الشاسع بين الأوضاع الجديدة التي انفتحوا عليها وبين الواقع الضاغط والظروف البائسة التي تركوها وراءهم ؛ تتبدّل فكرةُ العودة لديهم ، ويطول بهم المقام.

وهنا أحب أن أوجه نداءاً إلى حكوماتنا الإسلامية ومؤسساتنا الأهلية في بلداننا ، داعياً إياها لأن تعمل على التقليل من الهجرة ، وعلى استيعاب واستقطاب من يرغب بالعودة من المهاجرين المسلمين ، وخاصة ذوي العقول والخبرات .

العامل الثالث : المدرسة

«لأن للمدرسة ولعناصر التأثير فيها قوة تربوية وتوجيهية فعالة، تساهم في بناء شخصية الطفل أو المراهق ، وتؤثر فيها تأثيراً بالغاً. فالمدرسة هي المصنع الذي يُعدّ الأجيال، والحاضنة التي تربي رجال

المستقبل، واليد التي تخطط صورة الحياة، لذا كان من الضروري العناية بالمدرسة وبعناصرها الأساسية :

١ ـ المدرّس. ٢ ـ المنهج. ٣ ـ النشاط المدرسي»[١].

وأقل ما يحدث لأبناء المسلمين في مدارس الغرب هو تحطيم شخصيتهم الإسلامية ، وإبعادهم عن ثقافتهم الأصيلة ، ويتم ذلك عن طريق الاختلاط بين الجنسين في المدارس والمعاهد، فقد يحافظ الأبناء على التربية التقليدية في الأيام الأولى من الدراسة، لكن حفلات (التعارف) ثم (الترفيه) والسفرات الجماعية والرحلات الطويلة التي تقتضي المبيت خارج المنزل ، وما شاكل من الأجواء والعوامل ، تجعل الأطفال يتمردون على مبادئهم وعاداتهم ويتمرسون على عادات وتقاليد أخرى تجعلهم يتقبلون كل ما يُقدم لهم تحت عناوين الرياضة والفن والصداقة ، وإلى ما هنالك من أسماء ناعمة الملمس والمظهر ، مريبة المضمون والجوهر.

وتبلغ هذه الأمور مداها الخطير في مرحلة الدراسة التكميلية والثانوية، حيث تبدأ فترة البلوغ عند الشابات والشباب ، فتتفتح شهواتهم ، ويطرأ عليهم نمو جسدي ونفسي ملحوظ . وفي مقابل هذا التحول المهم علينا أن نلاحظ العناصر الأساسية للتربية المدرسية على الترتيب التالي :

---

(١) معالم التربية الإسلامية، دار التوحيد.

١ ـ المعلم :

وقد يكون داعية من دعاة الإباحية الجنسية مثلاً، أو ملحداً منكراً لوجود الله تعالى ، أو لوجود القيم الأخلاقية والمعنوية ، وهو في الوقت ذاته القدوة والمثال للطالب الذي يُعجب بداية الأمر بأسلوب شرحه وتدريسه، ثم يكبر هذا الإعجاب ويتمادى متسللاً ، ليشمل أفكار ومعتقدات وسلوكيات الأستاذ ومنها ما ذكرناه أعلاه .

٢ ـ المناهج الدراسية :

أما على صعيد العنصر الثاني ـ وهو المنهج ـ فكلنا يعلم أنه ورغم اشتماله على العلوم المفيدة التي لا تتعارض مع فكرنا الديني وقيمنا الإسلامية ؛ إلا أن هناك عدداً من المواد التعليمية ـ خصوصاً منها في مجال الأدب والتاريخ وتاريخ العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية بشكل عام ـ ما هو بعبارة مختصرة وليد الفلسفة المادية.

«إن أخطر ما تهدف إليه العلوم المادية نبذها للجانب الروحي وعدم عنايتها بالتهذيب النفسي، وقد نجم عن ذلك انتشار الأوبئة الأخلاقية ومن أهمها شيوع الجريمة وانعدام الروابط الإنسانية، وتحلل روابط الأسرة وقواعد الأخلاق مما جعل الإنسان المعاصر يرزح تحت كابوس ثقيل من جراء الظلم والغنى»[١].

---

(١) النظام التربوي في الإسلام: ص ١٤.

٣ ـ النشاط المدرسي :

ثم نأتي إلى العنصر الثالث من عناصر التربية وهو النشاط والتوجيه الداخلي في المدرسة، فإننا إذا أخذنا نشاطاً من الأنشطة الرياضية كالسباحة مثلاً، فإننا سنجد الطلاب ذكوراً وإناثاً في مكان واحد بشكل شبه عاري نتيجة التقدم المستمر في اختصار حجم لباس السباحة عن الجنسين وفق ما تمليه (ضرورات الحضارة والمدنية الحديثة) !.

أفيصلح بعد ذلك أن نأتي لنطلب من بناتنا الاحتشام ، ونحدثهن عن العيب والخجل والحرام ، أو نأمر أبناءنا بغض البصر عمّا حرّم الله تعالى ، وبعدم مصافحة الأجنبية التي لا تحل عليه أو ملامستها ؟! من الطبيعي أن يأتي الجواب لاذعاً ، فهم يضحكون ساخرين بما يقال ؛ لأنهم لم يرَوا من حولهم ولم يسمعوا ممن يعيشون شيئاً من الالتزام بذلك أو ما بما هو دون ذلك ، بل إنهم لو التزموا الواجب وامتنعوا عن المحرم فسيلاقون الاستهجان والازدراء من أصدقائهم وزملائهم الذين ينهالون عليهم بسيل من الأسئلة المحرجة ، والتي قليلاً ما يعرفون إجاباتها أو منطق تبريرها ؛ مما يجعلهم متذمرين من وصايا وتعاليم أهلهم ، يتحينون الفرص للتخلص منها، عندما يتراءى لهم حرص ذويهم وتشددهم تجاهها يظهرون أمامهم الالتزام بها ، رغم عدم قناعتهم بما يمارسون ؛ مما يجعلهم يعتادون على نوع من إجادة التمثيل والخداع وتعددية الأدوار والوجوه وثنائية المعالم الشخصية، ولو أنهم لاحظوا انشغال الأهل عنهم ـ وهو كثير الوقوع ـ فإنهم يميلون

تدريجياً مع وجهة الريح ويستسلمون تلقائياً للأمر الواقع، ومع العادة والتكرار يصبح ما نسميه حراماً في شرعنا الإسلامي أكثر سهولةً عندهم من شرب الماء . هذا إضافة إلى الأثر السلبي على الروح ، الذي يتركه فعل المحرمات على صفاء النفس وطهارتها ، فعلينا أن لا ننسى أن ما يتناوله أبناؤنا في المدارس من أطعمة وأشربة تقدم لهم خلال الوجبات اليومية أو في الرحلات والنشاطات الترفيهية وغيرها قد يحوي خليطاً من المحرمات أو المتنجسات إن لم تكن من الأعيان النجسة بذاتها كالخمر الذي يدخلونه في صناعة بعض الحلويات ، ولحم الخنزير ، والميتة بأشكالها ، أو الدهون والزيوت الحيوانية التي تستخدم في المقالي والمعجنات والشوكولا . فما العجيب بعد هذا إذا قست قلوبهم وصاروا كالأنعام لا يفقهون حديثاً ؟ .

هذا ناهيك عن أن عدداً لا بأس به من الطلبة الغربيين يتعاطون بعض أصناف المخدرات ، كزبائن مدمنين ، أو كمروّجين وسماسرة صغار ، يوقعون في شراكهم العديد من الأطفال الأبرياء ، الذين تُدمّر حياتهم من خلال تجربة تذوق ، أو إرادة معاطاة محدودة تنتهي بهم إلى أحياء يصارعون الموت في كل يوم على قارعة الطريق.

✿ ✿ ✿

الهدف من طلب العلم

وحيال الحديث عن دور المدرسة في تكوين شخصية الفرد ينبغي أن نتوقف هنيهةً لنطرح سؤالاً جوهرياً : ما هو الهدف من وراء العلم والتعلّم ؟.

لا شك أن سعادة الإنسان هي الهدف المنشود ؛ لذا فإن التقدم العلمي والتطور التكنولوجي يحاول دوماً أن يؤمّن سبل هذه السعادة عبر توفير أسباب الدعة والراحة والغنى ولو لطبقة من الناس . وتجارب آلاف السنين وإن أثبتت فعالية التقدم العلمي وبشكل تصاعدي عجيب، لكننا في الوقت ذاته لا نلاحظ أي تطور أو تقدم على طريق رفع الظلم والجور عن كاهل البشرية، فالعالم كان إلى زمن قريب بكل بقاعه وبحاره وحتى كواكبه مهدداً بالفناء بفعل عشرات الآلاف من الرؤوس والصواريخ والقنابل الذرية والنووية الجاهزة للانطلاق في أي لحظة إرادة أو خطأ ، لتفني كل ما على وجه البسيطة وتهلك الحرث والنسل، وهذا طبعاً نتاج الدول الكبرى التي تدّعي السبق العلمي والتكنولوجي والتقدم المدني على بقية الشعوب ، إلا أنها لم تستطع أن تصنع الإنسان الصالح في نفسه وسريرته والعامل من أجل سلامة الإنسانية وخيرها، وكيف تستطيع وقد أبعدت الدين وأنكرته كعامل أساسي من عوامل التربية والتهذيب، فهو العاصم الوحيد من الشذوذ والانحراف والعامل الأقدر على تهذيب الغرائز ،

وتشذيب الرغبات ، وتطهير النفوس ، وإنقاذها من الانحلال ، وصيانتها من الانهيار وحفظها من التلوث بالآثام والمغريات، فهو (الدين) إذا استحكم في النفس خلق فيها قوّة هائلة متماسكة تصدها عن ارتكاب الجريمة ، وتحجزها عن المعاصي ، وتوحي إليها فعل الخير ... هذا على الأقل ما نفهمه من ديننا، والمفترض له أن يكون في الأديان الأخرى ، وإذا لم يكن ذلك كذلك فإنه يعني تحريفاً واضحاً لطبيعة هذه الرسالات السماوية ودورها في المجتمع ، هو ما حصل فعلاً...



موقف الدين من العلم

عندما وقفت الكنيسة في أوروبا في مواجهة العلم والعلماء ، منكرة حقائق علمية ناصعة ، محرقة أهلها ومكتشفيها ، ومعتبرة ذلك كفراً وإلحاداً وتعدّياً على ملكوت الرب وأسرار عرشه ؛ كان من الطبيعي أن تحدث ردة فعل معاكسة أدت إلى تصوير الدين كعدوٍّ للعلم ومناوئ له ، حتى وجدت هذه الهوة الكبيرة بين الشعوب الأوروبية والدين، إلا أن الفكرة عُمّمت وصُدّرت إلى باقي الشعوب المستهلِكة والمستعمَرة من قِبَل الأوروبيين ، حتى خيَّم عليهم هذا الوهم القائل بأن الدين يعادي العلم ، والواقع أن الكنيسة وأربابها هم الذين ارتكبوا هذه المهاترة ، وعليهم لا على غيرهم ينبغي أن تُلقى اللائمة ويشتد العتب والتقريع .

ولكن هذا لا يبرئ أهل العلم الذين أفرطوا في المقابل في قصرهم وحصرهم العلم بالحقائق التي تخضع للتجربة وتدركها الحواس ، بالرغم من وجود مصادر معرفية أخرى للعلم لا يمكن إخضاعها للحس والتجربة ، بل هي مرتبطة بعالم الغيب والوحي، وقصور علمهم (بالمعنى الضيق الذي حددوه به) عن إدراك أسرار الكون والخلقة والحقائق المتعلقة بما بعد الموت ، والهدف من الحياة ، والعديد من الأسئلة الإنسانية المصيرية الأخرى ناجم عن إهمالهم لهذا الجانب المهم من

المعرفة بل إنكارهم لوجوده . وهم بفهمهم القاصر والمحدود للعلم لمْ يحرموا أنفسهم من المعارف الغيبيَّة فحسب، بل وساهموا بدور فاعل في إقصاء الدين عن حياة الناس وواقعهم العملي .

إن هذه الأجواء التي تُلقي بظلالها على معظم مفكري الغرب ومثقفيه أنشأت وأسست مناهج مخالفة لتعاليم ديننا الحنيف وشريعته الإلهية ، أفنلقي الطالب المسلم في غياهب هذه الأجراء لينهل من سرابها ، ويغترف من شرابها المسّوب بالسموم ؟ .

أم نكل إلى أطفالنا السذج أمر التمييز بين ما ينفعهم ويضرهم من هذا الفكر ؟ أفتراهم يقدرون على هذا التمييز الصعب المعقّد وهم عاجزون عنه فيما هو دون هذه الأمور في التعقيد والخفاء ؟ .

إننا نتفهّم الحاجات التي تدفع بطلبة العلوم لتحصيلها في خارج أوطانهم ، ونعلم أنها أصعب من أن تحل في مثل هذه الظروف التي تمر بها بلداننا ، حيث المشكلة كامنة أساساً في رأس السلطة والنظام ، قبل أن تتمثل في جزئياتها على صعيد أزمة تعليم أو مستوى التعليم أو منهج تعليم . فالمطلوب مرحلياً هو الخروج للتخصص في مجالات لا تتوفر في جامعاتنا باعتبار ذلك موضع حاجة ماسة في مجتمعاتنا . إلا أننا وقبل كل ذلك يجب أن نقوي جانب الوعي الفكري والارتباط الروحي بالإسلام وأطروحته لدى طُلابنا المهاجرين ؛ كي لا يؤدي الفراغ إلى حالة ضعف واهتزاز عند مواجهة أفكار وطروحات الآخرين ؛ فإن الفراغ قد

يوحي بصحة وعقلانية الأفكار والأطروحات ، التي تلقى من قبل الطرف الآخر ، كثيراً ما يحدث لإخواننا الطلبة في الخارج ، أن يعودوا بعد تخرجهم إلى أوطانهم ليبشروا بأن الخلاص هو في الغرب ومنه وعلى يديه ، وما ذلك إلاّ لضحالة خلفيتهم الفكرية ، وفراغ جيوبهم مما كان من شأنه أن يحفظهم من الانحراف في تيار الفكر الآخرة .

إننا نطلب من الآباء الكرام الذين أودعوا أو يفكرون في إيداع أطفالهم ليتتلمذوا على أيدي أساتذة أجانب أو في مدارسهم أن يلقوا نظرة على حال التلامذة الغربيين ووضعهم في المدارس التكميلية والثانوية ، خصوصاً في أوقات الاستراحات والفرص اليومية ، فبدلاً من أن تكون الأجواء المسيطرة هنالك أجواء دراسة ونقاش ومطالعة وتحضير ، أو أجواء لعب ومرح ولهو بريء على أقل تقدير ، فإنّ الواقع هنالك أن المجلات والقصص الخليعة تتناقلها أيدي الفتيان والفتيات ، إضافة إلى السُنّة السائدة بأن يكون لكل فتاة صاحب وعشيق ، تراه متأبطاً أياها ، يبادلها القبلات والمداعبات ، وكأنهما عريسان في شهر عسل ، في جَوٍّ لا يعرف معنىً للحياء والحشمة ، فلست تملك إلاّ أن تتساءل في دهشة : هذه مدارسة لإعداد رجال المستقبل ، أم نوادٍ للإفساد تنتج أمراضاً ومشكلاتٍ أكبر حجماً وأكثر تعقيداً ؟ .

وأيّ صلاحٍ نرتجيه لأبنائنا إذا ألقينا بهم في هذه الظلمات الحالكة ؟ .

ولعلّ أحدنا يتصوّر أنّ بإمكان أطفالنا البقاء جانباً والانزواء في مأمن

من ذلك كُلّه وإن كانوا موجودين في هذه البؤر والمستنقعات الموبوءة ، وهو تصوُّر خاطئ ؛ فإنَّ أبناءنا وبالرغم من كل النصائح والمواعظ كائنات حيّة تحس وتشعر وتنفعل وتتأثر بالمشهد والكلمة والأصدقاء، فلا يمكننا أن نضعهم وسط سحابات كثيفة من الدخان الملوَّث ثم نقول لهم : عليكم باستنشاق الهواء النقي ! .





حياة المهاجرين
في
دار الهجرة

السكن :

إنّ أوّل همٍّ يعيشه المهاجر عند وصوله بلد الاغتراب هو التفتيش عن مكان لسكنه وإقامته ، سواء عن طريق الاستئجار أو الشراء ، من الأفضل في كلتا الحالتين اختيار الحي أو الجهة التي تقطنها غالبية من المسلمين ، عدد من عوائلهم على أقل تقدير ـ كما أشرنا سابقاً ـ وهذا مما يساعد على حفظ العلاقات الاجتماعية ، ويعمل بشكل غير مباشر على تقوية البناء الاقتصادي والسياسي للمسلمين فيما لو شكلوا أغلبية فائقة في منطقة محددة، وذلك من خلال امتلاك المرافق الأساسية فيها ؛ مما يجعل لهم السطوة والأثر الفعال عند الدوائر الرسمية كالبلدية والحكومة، فاجتماع جالية متناسقة في ناحية من نواحي المدينة يتيح لها فرصة ترشيح من يمثلها في الدوائر البلدية ، ومن ثم في البرلمان ولربما الحكومة. والمقصود هنا ليس طموح الوصول إلى الرئاسة أو الزعامة بحد ذاتها كما قد يظن البعض ، بل الاستفادة من الإمكانات والعلاقات التي توفرها هذه المواقع بما يعود بالمنفعة والخدمة لأهل الملة أو الوطن أو الدين .

وعدم الاعتناء بهذا الجانب يفوّت على المهاجرين الكثير من الحقوق والتسهيلات وحتى المساعدات الحكومية، فأرقام دوائر الهجرة تؤكد العدد المتفوق للمسلمين الذين يدخلون كل عام إلى مختلف البلدان الغربية، ومع

ذلك فإن حقوقهم ومطالبهم لم تزل أقل بكثير من مجمل الجاليات والأقليات الدينية أو العرقية الأخرى، وهذا لا يعود إلى العنصرية أو التمييز الذي يلقاه المسلمون من بعض الحكومات الغربية فحسب ، بل هو أيضاً نتيجة التشتت والتشرذم وعدم تجميع القوى والطاقات.

والخطوة الأولى هي البدء بالتجمع الجغرافي والتقارب في السكن رغم ما تتطلبه هذه الخطوة من تنازلات وتضحيات قد تطال بعض النواحي الشخصية أو العائلية ؛ فالبعض يستصعب الابتعاد عن مكان عمله والسكن وسط حي المسلمين ؛ الأمر الذي يؤدي به إلى قطع المسافات يومياً ذهاباً وإياباً من وإلى العمل، ولمَّة آخرون لا يفضّلون أن يسكنوا بعيداً عن مدارس أو جامعات أبنائهم ؛ كي لايحملوهم مشقة الطريق . ورغم صحة ومعقولية مثل هذه الأعذار فإنّ علينا أن نضحي ونعطي شيئاً على حساب مصالحنا من أجل مصلحة وراحة المجتمع ككل، وإلا فبدون التضحيات لا يمكن الوصول إلى الأمنيات والآمال ، وحسبنا في ذلك قول الله تبارك وتعالى :

﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1].

ولا أظن أن أحداً يشك في أن من جملة البر تقوية شوكة المسلمين ، ورفع شأنهم ، وحفظ كيانهم من الذوبان والضياع وسط مجتمع مادي كافر،

(١) آل عمران: ٩٢.

وإنه لمن المؤسف حقاً أن تكون أول نصيحة يسديها البعض للقادمين الجدد أن يبتعدوا عن كل شيء يمت إلى العرب أو المسلمين بصلة ! وهذا إنه كلام تسمعه عادة من بعض البسطاء الذين قد يكونون ضحايا بعض التجار أو أرباب العمل الذين يستغلون حاجة المهاجر القادم حديثاً إلى العيش والعمل، فيستغلون طاقاته أو جهوده وأمواله استغلالاً بشعاً وجشعاً ، بلا أدنى مراعاة للأخلاق والرحمة ؛ ممّا يؤدي إلى خلق نقمة عارمة وشاملة ، وبروز الحكم سلباً على كل أفراد جاليتهم دونما استثناء. ولا شك أن هذا الحكم فيه ظلم وتشويه لسمعة الأخيار والصالحين من القوم ، فليس يصح القبول بتعميم حكم على الجميع بسبب قلةٍ منهم .

وأما من الناحية الفنية لاختيار السكن فيجب الالتفات إلى عدم اختياره في المناطق ذات الأجواء الملوثة سواء بدخان المصانع والمعامل مما يشكل خطراً على الصحة الجسدية، أو بسبب وقوعه وسط أماكن الفساد والمجون التي تشكل خطراً على الصحة الجسدية والروحية والنفسية مجتمعةً .

وبما أن البنّائين الغربيين لا يراعون النواحي الشرعية في البناء المنزلي فينبغي اختيار ما يناسب العائلة المسلمة من التقسيم الهندسي الداخلي الذي يناسب مسألة عدم الاختلاط بين الرجال والنساء، وهكذا بالنسبة لمكان الخلاء أو الاستحمام فلا بدّ من مراعاة حرمة استقبال أو استدبار جهة القبلة حال التخلي وهذا ما لا ينفع غير المسلمين لانتفاء الموضوع .

وأما عند السكن في منزل كان قد استخدمه غير المسلم فلا بأس بتطهير الأشياء التي نظن أنه باشرها برطوبة، أما الأمور الأخرى من أثاث منزلي وما شاكل والتي لا نظن أن هناك ضرورة لمباشرتها مع الرطوبة، فلا يجب تطهيرها، ولكن من الأفضل استبدالها لإمكان نقلها للأمراض المعدية سيّما وأن بعض الغربيين يعيشون في منازلهم معاً والحيوانات الأليفة والتي قد يكون منها ما يعتبر شرعاً نجس العين. وما ذكرناه لا يعدو كونه لفت نظر، ولا يمكن الأخذ به على أساس الفتوى الشرعية بالوجوب أو الحرمة، فهنا يجب مراجعة التفصيلات وفق آراء الفقهاء المقلَّدين .

وبالعودة إلى مسألة تقارب السكن وأهمية التجاور يهمني أن أشير إلى أن عدم التباعد يساهم عملياً بالقضاء على الضجر والملل والخوف الذي قد تعيشه بعض النساء في أوقات غياب أزواجهن عن البيت، فتوفير السكن المجاور لنساء أخريات من بنات دينها وبلدها يمكنهن من التعاون فيما بينهن على قضاء حاجات المنزل وتوفير الجو السليم للأطفال وخلق وسط إجتماعي محافظ ومحتشم ، فعلى الأزواج عدم إهمال مثل هذا الأمر ، ومراعاة الظرف الحرج الذي قد تعيشه زوجاتهم وحيدات غريبات فيما لو كان محل السكن بعيداً عن الأقارب والأصحاب والمعارف، فالغربة عن الوطن والأهل والأحبة أليمة والتغرب في الغربة أشد إيلاماً .

إنّ الذين لا يعيرون اهتماماً للبشر الذين يجاورنهم ويصرفون جل عنايتهم في انتقاء المنزل ذي الطابع المترف وسط أحياء الطبقات الثرية ،

هؤلاء يخطئون في سلوكهم هذا ؛ لأن المطلوب هو نوعية الجار قبل نوعية الدار ، وهذا ما نستفيده من توجيه نبينا الأكرم محمد ﷺ ، فقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال :

«جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني أردت شراء دار، أين تأمرني أن أشتري؟ في جهينة أم في مزينة أم في ثقيف أم في قريش؟

فقال له رسول الله ﷺ :

الجار ثم الدار، والرفيق ثم السفر»[1] .

وفيما يرتبط بموضوع الجار نجد أن بعض المسلمين يعملون تماماً بعكس وصايا إسلامهم ، ويعلنون جهاراً أن ابتعادهم عن جيرة المسلمين في الاغتراب يجنبهم عدداً من المشاكل و(وجع الرأس) و(القيل والقال)، وهذه دعوة جاءت نتيجة واقع الأمية والجهل بالتعاليم والأخلاق الإسلامية بين المسلمين ، إلا أننا يجب أن لا نستسلم لها ؛ لأنها تؤدي إلى نتائج خطيرة أوضحناها سابقاً، كما أوضحنا ضرورة التضحية سيّما أننا قد نواجه في حياتنا اليومية نماذج من المسلمين الذين لا يعيشون أصلاً روحية الإسلام في علاقاتهم مع الآخرين ، فيسيئون إلى الإسلام قبل الإساءة إلى أنفسهم ، وينفّرون الناس من حولهم.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٣، ص٤٧٠ ـ ٤٧١، وج٨، ص٢٠٩ ـ ٢١٠ وص٤٢٩ .

وإلا فأين هم من تعاليم رسول الإسلام حول حقوق الجار حيث يقول فيما روي عنه ﷺ :

«إن استغاثك أغثه، وإن استقرضك أقرضه، وإن افتقر عدت إليه، وإن أصابه خير هنأته، وإن مرض عدته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن مات تبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهدها له، وإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك يغيض بها ولده، ولا تؤذه بريح قِدرِك إلا أن تغرف له منها»[١].

وحول نفس الموضوع يُروى عن سليل النبوة الإمام علي بن الحسين عليه السلام قوله :

«أما حق جارك فحفظه غائباً ، وإكرامه شاهداً ، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتّبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة»[٢].

وأما الأمر الآخر الذي يتعلق بالسكن فهو أن على المؤسسات الإسلامية في الغرب أن تنشئ مؤسسات مالية أو صناديق للقرض الحسن بدون فوائد ؛ من أجل تيسير عملية شراء البيوت في مناطق معينة ضمن خطط موضوعة سلفاً لتسهل عملية تجميع الجاليات في مناطق محددة . وهذه المؤسسات أو

---

(١) بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) الخصال للشيخ الصدوق : ج٢ ، ص٥٦٩ . وعن المجلسي في «البحار» : ج٧١، ص٧ .

البنوك اللاربوية سوف تساعد وتزيل العبء الثقيل الذي تفرضه البنوك على مالكي البيوت ؛ للفوائد العالية التي يدفعونها على قروض شراء البيوت.

اللباس والمظاهر الخارجية :

إن المظهر الخارجي لأي فرد أو جماعة غالباً ما يعكس طبيعة تفكيرهم واعتقادهم ونظرتهم إلى الحياة. فالذين يتوهمون أن مقياس التفاضل في المجتمعات هو الغنى والفقر والقدرات المادية أو عدمها يقعون في خطأ فادح يدلل على ضعف أو عدم إيمانهم بالروح كجوهر للوجود الإنساني ، والأخلاق والعقل كميزتين أساسيّتين ترفعان مستوى البشر عن مستوى الحيوانات والبهائم .

وعدم الإيمان بالقيم والأعراف الدينية، وعدم اعتبار التقوى أساساً للتفاضل والتسابق، يدفع بالمجتمع إلى التطرف في اعتبار الثروة والشهرة هدفين نهائين لقيمومة الإنسان ؛ مما يدفع بهذا المخلوق إلى تحرّي كل الوسائل ، وتحسين كل الطرق ، والدوس على كل القيم ؛ سعياً وراء المال والجاه.

وما أردناه من هذه المقدمة هو تحذير إخواننا المهاجرين من تبني النظرة الغربية لقيمة الإنسان من خلال مظهره الخارجي ، حيث يعتبر اللباس إحدى وسائل التقييم والاعتبار ...

وهنا أود أن أشير إلى الشعور الخاطئ الذي ينتاب المهاجرين لحظة وصولهم عالم الاغتراب ؛ إذ يتصورون أن ما يشاهدونه من نظام وترتيب

وأناقة سببه التحلل الديني عند الغربيين أو عدم إسلامهم ، بينما هم يحتفظون في ذاكرتهم الصورة القديمة التي ترسم لمجتمعات المسلمين العديد من معالم الفوضى والتخلف وعدم الترتيب والنظافة. إلاّ أن الحقيقة هي أن دول الغرب تعيش الرفاهية والرخاء الإقتصادي بسبب حسن استغلالها لثرواتها الطبيعية ، ولكونها ومنذ قديم الزمن سلطات استعمار ، تنهب ثروات الشعوب المستضعفة ، وتستغلها لصالحها.

وليس ثمة شيء يمنع بلدان ما يسمى (العالم الثالث) من أن تتقدم وتصبح مثل بلدان (العالم المتطور) سوى فساد الأنظمة التي تحكمها ، وإهدارها لثروات شعوبها ، وعمالتها للدول المستكبرة التي لم تزل تمارس الاستغلال والنهب لثروات تلك الشعوب ولكن بأساليب خدّاعة وأكثر إيهاماً ؛ تحت عناوين الاستثمار ومساعدة الدول على طريق النمو والقروض المالية الطويلة الأمد ، على الرغم من إعلان استقلال مستوطناتها رسمياً وقبولها عضواً في هيئة الأمم المتحدة.

وما يهمنا هو التأكيد على أن الإسلام ـ وعلى العكس تماماً مما يوحيه الغرب ويصوره ـ هو دين النظافة والترتيب والنظام، وهذا ليس مجرد ادعاء فارغ ، بل إن التاريخ يشهد للمسلمين بأسبقيتهم الحضارية يوم حكموا بإسلامهم من الخليج إلى المحيط ، ودخلوا أوروبا وتركوا فيها المساجد والقصور والحدائق ، لا سيما في الأندلس الشاهد الحي والمستمر ؛ مما يدلل على اعتناء الدين وتشجيعه للعمران بفنونه ، ولكل

ما يدل على القدرة والإبداع. أما أننا لماذا نستشهد دوماً بالتاريخ الماضي وليس بالحاضر ؛ فهذا ببساطة يعود إلى تخلي الحكام وجزء من الشعوب عن تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء ، واتباعهم الهوى والشهوات ، وتوليهم للشرائع المستوردة والأنظمة الكافرة ؛ لذا تراهم يركبون أشرعة أي موجة قادمة ، ويغوصون في كل سيئاتها دونما تنقية للحسنات النافعة وترك للموبقات الفاسدة التي لا تتلاءم وطبيعة معتقداتنا وأعرافنا كمسلمين.

وكأن الحصول على تقنية الغرب ووسائل الحياة المتطورة فيه لا تتيسر إلا بترك الدين والتحلل من الأخلاق والقيم ، علماً أن بلاد المسلمين وبطون آجامها تحتوي على القدر الأكبر من البترول الذي يُعدّ اليوم بمثابة عصب أو روح الماكنة الصناعية في الغرب، فكما نحن بحاجة إلى ما ينتجونه فهم أيضاً بدورهم بحاجة إلى ما يمكنهم من الإنتاج والتصنيع. وهكذا علاقة متبادلة لا يمكن لها أن تتوازن وتستقيم طالما أن سياسة الدول الغربية تطبعها بل تنخر فيها روح النهب والجشع والاستغلال والتسلط على الآخرين.

وأما فيما يختص بكيفية اللباس، فإن الإسلام أوجب اللباس الساتر للعورة، والإنسان السليم الفطرة يستقبح بطبيعته التعري أمام الآخرين.

ولعل ما يدهش المهاجرين ويثير استياء سليمي الفطرة منهم هو ما يشاهدونه ويسمعونه من الغربيين حول التعري، فبعض هؤلاء سحقت

شهواتهم وأهواؤهم البديهيات الأخلاقية وكل ما يقال حول (الخجل) و(العيب)، فتراهم عند اشتداد الحر يخرجون شبه عراة ويستلقون ـ على هذه الحالة وأسوأ منها ـ أمام الناظرين وفي الأماكن العامة والمتنزهات الشعبية غير آبهين لأحد، وكل ذلك مبررّ في مجتمع الحريات الفردية حيث الاعتراض والانتقاد يعتبران تدخلاً سافراً في شؤون الآخرين وأمراً غير مسموح به ! وحتى على الصعُد الرسمية فإن السلطات المختصة ترخص لتجار الرقيق في عصرنا الحديث أن يقيموا مسارح الرقص العاري لكلا الجنسين ، وهولاء يجنون بذلك الأموال الطائلة التي يعتبرونها الهدف من قبل ومن بعد كما أشرنا في بداية الحديث.

وعلى نفس قاعدة الحريات الفردية يحق للمسلم أن يظهر بلباسه التقليدي أو الديني رغم ما يثيره هذا الأمر في البداية من استهجان واستغراب قد يدفع بعض العنصريين أو المتزمتين إلى الاعتراض على ذلك والتعبير عن حساسيتهم وسخطهم بكلمات بذيئة أو شعارات استفزازية، والمنطق والجدال قد لا يجدي نفعاً في مثل هذه المواقف.

وفي هذه الأجواء تتعرض المسلمات الملتزمات بارتداء الحجاب إلى مواقف حرجة تتجلى بنظرات الازدراء أحياناً ، أو التساؤل والاستفهام أحياناً أخرى. وفي كل هذه الحالات على المرأة المسلمة أن لا تفكر ولو للحظة بالاستجابة لدعوات خلع الحجاب بحجة أنه لباس تقليدي قديم لا يتلاءم مع أجواء المجتمعات الغربية المتحررة حسب ادعائهم ؛ فسواء امتلكت المرأة

المسلمة المعرفة والجرأة للرد والإجابة على ما يواجهها أم لم تمتلك ذلك ؛ فإنّ عليها التزام الصبر وعدم الاعتناء بما يثار حولها وبما قد تسمعه ، وستجد بعد مدة وجيزة أن الحجاب أصبح مشهداً مألوفاً يفرض هيبته واحترامه على الناظرين ؛ مما يجعلها في مأمن من نزوات وشهوات الرجال الجامحة ، ويُلقي عليها شعوراً بالأمان والثقة، بينما الغربيات يعانين يومياً من الاعتداءات الجنسية التي أقلها التحرشات بالكلمات البذيئة التي توجه إليهن سواء في العمل أو السوق أو المدرسة، ووفق إطلاعنا في عالم المهجر فإن بعض الأهل يتسامحون مع بناتهم في مسألة عدم ارتداء الحجاب بدعوى تجنيبهن أي انتقاد أو تجريح من قبل زميلاتهن في المدرسة.

وهذا التبرير يستمر حتى مع سنوات التكليف الشرعي ؛ مما يؤدي إلى بلوغ الفتاة مبلغاً يصعب معه إقناعها التزام الحجاب أو التحلي بالعفة والحياء. وفي مقارنة سريعة نجد أن هذا الضعف والوهن العقيدي عند المسلمين يقابله تصلب وتعلق حثيث عند اليهود مثلاً، فأولادهم يذهبون إلى المدارس العامة أيضاً ، ومع ذلك ترى أن صغيرهم يعتمر القلنسوة ، وصغيرتهم ترتدي اللباس الطويل ، وتربط شعرها بطريقة تقليدية معينة دون أي شعور بحياء أو خجل مما يقوله الآخرون.

ومع مرور الأيام صارت التقاليد اليهودية متعارفة بين الناس والجاليات، فعلام وإلام يستمر بعض المسلمين في الغرب بالتردد في إظهار شعائرهم والتعريف بهويتهم الدينية ؟؟ .

إننا نعلم أن هناك بعض المدارس التبشيرية التي تعمل بكل جد واجتهاد لتنصير تلامذتنا أو تزيين تعاليمهم في أعين أطفالنا من خلال دروس اللغة والدين أو الفنون ، ونعلم أيضاً أن الحجاب يغيظ المشرفين على هذه المدارس ، ويخرب عليهم مخططاتهم ؛ لذا لا يجوز أن نتساهل مع دعواتهم إلى ترك الطفل يختار ما يريده من سلوكيات وعقائد، وإلى عدم فرض الحجاب أو ما شاكل منذ الصغر، فمثل هذه الدعوة ظاهرها الرحمة والحرية ولكنها في الحقيقة تهدف إلى ترك عقول الأبناء فارغة وقابلة لتلقي تعاليمهم وأفكارهم التي يطمحون لإملائها على الجيل الجديد . وما حدث مؤخراً في فرنسا وبريطانيا ، وحدث بالأمس القريب في مقاطعة كيبيك الكندية من منع الأخوات المحجبات من حضور الصفوف الدراسية ، يتكرر فعلياً مع العديدات أمثالهن في أكثر بلدان الغرب ، ولكن بهدوء ودونما أية إثارة إعلامية، وفي بعض الحالات نجحت بعض المدارس في تجريد ضعيفات الإيمان أو ضعيفات المعرفة من حجابهن في ظل تهاون مخجل وسكوت مريب من الأهل والجالية، وهذا ما يؤسف ويؤلم، ويثير التساؤلات الكبيرة :

١ ـ من ينقذ أطفال المسلمين في الغرب ؟

٢ ـ ومتى تُشيَّد لهم المدارس والكليات الإسلامية أسوةً بزملائهم من الجاليات الأخرى .

ومادمنا نتحدث عن اللباس والحجاب بالتحديد فلا بأس أن نشير على أخواتنا اللواتي يفكرن بالهجرة أن يجلبن معهن الملابس الشرعية ؛ لأن

الأسواق الغربية نادراً ما يوجد فيها ما يلائم المرأة المسلمة من اللباس المحتشم الساتر لكامل الجسد ؛ فنظرتهم إلى المرأة على أنها الأنثى التي لا تتورّع أن تظهر مفاتنها ومحاسنها لأي ناظر دونما استثناء ؛ وذلك ما جعل مصممي الأزياء لا يعتنون بتفصيل اللباس أو الملابس الساترة ، بل على العكس من ذلك ؛ فهم أنفسهم أبناء حضارة الجنس والتعري الذين خاطوا الثياب النسائية التي جعلت من لابساتها كاسيات عاريات ، وهذا هو ما تعرض له الرسول الأكرم ﷺ في معرض حديثه عن أهل آخر الزمان ؛ يوم تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً ، ويصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً .

ومن الملاحظ أن جمال المرأة الغربية وحسن إظهارها لمفاتنها صار شرطاً ضمنياً غير صريح لكثير من الأعمال والوظائف التي يمسك الرجال بزمام أمورها ؛ مما حدا ببعض الغربيات اللواتي لا يتمتعن بجمال خارق ، أو مازلن يحافظن على تقاليد التستر ، وفيهن ضرب حياء أن يفكرن تلقائياً باختيار الأعمال الحرة ، أو الوظائف التي لا تحتم عليهن شروطاً شيطانية.

وعالم الغرب بما فيه من الاهتمامات الزائدة بالأزياء النسائية وعالم التجميل وأحدث التسريحات وآخر الصرخات قد يخلق عند بعض المسلمات شعوراً بالحرمان والإهمال لهذه النواحي التي هي موضع اهتمام طبيعي وغريزي للمرأة بحكم التزامهن ببعض الأحكام الشرعية التي قد لا تتناسب مع تلك الأجواء وتوضيحاً للأمور ننقل هاهنا مقتطفات

مما جاء في كتاب «الحلال والحرام في الإسلام» ، تعليقة حجة الإسلام الشيخ حسن محمد تقي الجواهري، ص ١٥١ حيث يقول :

«إنّ الإسلام إنما حرّم التبرّج ، وهو إبداء الزينة للرجال ، ولم يحرّم على المرأة لباساً خاصاً إذا كانت معه متسترة ، فالملابس الخفيفة والشفافة والمحددة ليست محرمة على المرأة لا في بيتها ولا خارج البيت إذا كانت متسترة معها ؛ بأن لبست معها العباءة ، فلو كانت المرأة في بيتها أو في حفل نسائي قد لبست الألبسة المحددة أو الشفافة فليس هو بمحرم، وكذلك إذا خرجت بها خارج البيت مع لبس العباءة فوقها فيحصل الستر، نعم حرّم الإسلام تبرّج الجاهلية الأولى ، وهو عدم التستر أمام الرجال غير المحارم، كما أن تصفيف شعور النساء وتجميلها إذا كانت تقوم به النساء ولم تبده إلا لمن يحل لها إبداؤه فهو أمر جائز ولا دليل على حرمته» .

وهنا لا بأس أن نذكّر الرجال والشباب منهم بالخصوص إلى حرمة لبس الذهب والحرير الخالص، فالغربة قد توفر للبعض فرص العمل وجمع المال ، ولكن هذا الثراء يجب ألا يدفعنا إلى نسيان أوامر ونواهي الرازق والمنعم، وأن لا نبرر لبس الحرير والذهب بأنه إظهار للنعمة، فإظهار النعمة أمر مستحب وصحيح ، ولكن علينا أن نلتزم بالمستثنيات والمحذورات المخصوصة دونما إطلاق وتعميم للأحكام من دون دليل.

الزواج في الغرب ومعاناة المهاجرين :

إن الفكر المادي المستحكم في عقول العدد من الغربيين جعلهم

ينظرون إلى الزواج نظرة مادية صرفة ، جعلت العلاقة الزوجية والأسرية بين الرجل والمرأة شكلاً من أشكال الشراكة التجارية ، التي يساهمان فيها رغبة في الحصول على أكبر منفعة ممكنة تمكّنهما من تسيير أمورهما نحو ترف أكبر ورفاهية أفضل ؛ لذا يفضل العديدون في المقابل البقاء في حالة العزوبية والحياة الانفرادية ماداموا يحققون لأنفسهم كل الرغبات دون مشاركة أحد في الأرباح التي يجنونها جراء عملهم وجهدهم.

وقد يظن القارئ الكريم أننا نتجنّى على هؤلاء القوم بمثل هذا الكلام، ولكن هذه الحقيقة المرة عاينتها بنفسي، فعندما قدمت إلى كندا كنت أحضر صفوف تدريس اللغة، وفي أحد الأيام كنت ومجموعة من الزملاء نكلم مدرّستنا ونتجاذب أطراف الحديث رغبة في ممارسة ما نتعلمه عملياً واختبار قدرتنا على نطق اللغة الأجنبية وفهمها، وكان أن ساقنا الحديث إلى الوضع الاجتماعي لكل من الحاضرين.

ولما علمت أن مدرّستنا هذه هي في سن الأربعين ولا تزال عزباء لا بعل لها سألتها متعجباً :

ـ ولم كل هذا الانتظار ؟ لم لا تتزوجين ؟ .

فإذا بها تُجيب بحماسة وثقة :

ـ ولماذا أتزوج وأنا مدرّسة ومدخولي جيد ولا أحتاج مال أحد لينفق علي.

فسألتها مستغرباً :

ـ وهل تتزوج المرأة بنظرك لأنها بحاجة إلى من ينفق عليها ؟!

فأجابت :

ـ طبعاً، فالفتاة ـ سيما في الريف ـ عندما تفكر في الخروج من بيت أهلها طلباً للراحة والاستقلالية فإنها لا تجد أمامها إلا الزواج ؛ للالتجاء إلى رجل يحتاجها وتحتاجه ، بينما نحن المثقفات نملك وظيفة محترمة ، وبالتالي المال الكافي للاستقلال والحصول على ما نرغب عن غير طريق الزواج والاحتكام لرجل !.

ومثالنا هذا ـ أيها القارئ العزيز ـ ما هو إلا مثال نموذجي عن طبقة مهمة من نساء ورجال الغرب الذين يعيشون الانحراف الفكري والشذوذ العملي في النظرة والعلاقة مع الجنس الآخر بسبب عدد من المقاييس المادية المغلوطة التي تتحكم في مناحي تفكيرهم وتقييمهم للأمور، ولما كانت غاية البعض منهم من الارتباط الجنسي هو تحقيق أكبر قدر ممكن من اللذة المادية والأهواء الشخصية الأنانية ؛ فإنهم لا يكترثون أن يكون شركاؤهم في الحياة من الجنس الآخر أو من نفس جنسهم فوصل بهم الأمر إلى أن يقترن الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة ما دام أنهم يُشبعون نزواتهم عبر مثل هذا النوع من العلاقة دون أن يفكروا بشيء اسمه (مجتمع) ، يحتاج في وجوده وتماسكه أولاً وقبل كل شيء إلى التناسل والأجيال والقرابات والمصاهرات ووشائج روحية وعاطفية ، ومن المخجل ذكره هنا أن رد فعل الكنيسة في الغرب على مطالبة الشاذين

جنسياً هناك بالسماح لهم بإجراء مراسم الزواج الدينية كان إيجابياً ، بل إن أحد القساوسة في نيويورك حض على قبول مطلبهم ؛ باعتبار أن (حجر الزاوية في الدين المسيحي هو الحب، وأن العلاقة القائمة بين هؤلاء هي علاقة حب ؛ فهم إذن يمارسون المسيحية من أوسع أبوابها) (١) .

وإعطاؤنا الأهمية الكبرى للدافع الروحي لعملية الزواج لا يعني إنكارنا لعامل الغريزة الجنسية التي تعتبر من أهم غرائز الإنسان وأشدها خطراً في تحطيم سلوكه المستقيم، فقد حرص الإسلام حرصاً شديداً على إيجاد الحلول المناسبة التي يتمكن المرء من خلالها تجاوز مشكلة الكبت الجنسي ، أو التفكير بالرهبنة وذلك من خلال تسهيل مقدمات الزواج والشروط المطلوبة، سيما في مسألة الإمكانيات المادية وعدم جعلها تعجيزية أو مرهقة ، فقد ورد في الحديث الشريف :

«أفْضَلُ نِسَاء أمَّتي أصْبَحُهُنَّ وَجْهاً وأقَلُّهُنَّ مَهْراً» (٢) .

«فأما شؤم المرأة فكثرة مهرها...» (٣) .

« من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بالله، إن الله عز وجل يقول : ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾» (٤) .

---

(١) من مقالة نشرتها مجلة News WeeK في عدد شباط ١٩٩٢م.

(٢) الكافي للشيخ الكليني : ج٥ ، ص٣٢٤. و «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق: ج٣، ص٣٨٥ ـ ٣٨٦ .

(٣) الكافي للشيخ الكليني : ج٥، ص٥٦٨. و«الفقيه» للشيخ الصدوق : ج٣، ص٥٥٦ .

(١) الكافي للشيخ الكليني : ج٥، ص٣٣٠. و«الفقيه» للصدوق: ج٣، ص٣٨٥.

وقد ورد عن المعصوم ﷺ الرواية التي تحثّ الأهل على تزويج بناتهم إذ يقول :

«نزل جبرائيل على النبي ﷺ فقال : يا محمد إن ربّك يقرئك السلام، ويقول إن الأبكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر ، فإذا أينع الثمر فلا دواء له إلا اجتناؤه وإلا أفسدته الشمس، وغيّرته الريح، وإن الأبكار إذا أدركن ما تدرك النساء فلا دواء لهن إلا البعول، وإلا لم يؤمن عليهن الفتنة، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فخطب الناس ثم أعلمهم ما أمر الله عز وجل به...»[1] .

ورغم وضوح هذه الأحاديث والروايات في مقاصدها ومعانيها فإن المشكلة تبقى في مدى استجابة المسلمين لها. فالمطّلع على أمور وأحوال الشباب المسلم في أغلب بلدانهم يرى أن المجتمعات الإسلامية هي أبعد ما تكون عن التعليمات والإرشادات الدينية فيما يخص أمر الزواج ، بل إن العادات والمفاهيم الأجنبية قد تركت تأثيراً واضحاً في أفكار الشباب والفتيات من جهة ؛ والأهل من جهة أخرى ؛ مما جعل عملية الزواج وبناء الأسرة أمراً في غاية التعقيد ؛ فإن أعداد الشباب العازب والشابات العازبات ليستْ باللتي يستهان بها أبداً .

وهذه المشكلة بالذات تزداد تعقيداً في عالم الاغتراب ، حيث التأثير المباشر على نفسية وعقلية المسلم المتغرب ممن حوله ومما يعايشه من

---

(٢) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق : ج١، ص٢٨٩ .

أناس كنا قد ذكرنا نظرتهم إلى الزواج سابقاً ومن أجواء إثارة وتحلل وفجور تجر إلى حبائلها العديد من الشباب المراهق والشابات المراهقات.

والمراهقة هنا قد لا تقتصر على سن معين بل قد تصيب بحالاتها النفسية كبار السن أيضاً ، فتتحول حياتهم بأسرها مطاردة للنساء ، وسعياً وراء إشباع النزوات ، وتمضية الليالي في الخمّارات وأماكن الدعارة ، سيما في بلاد لا مانع فيها ولا محاسب من مجتمع أو ضمير.

من هنا كانت الحاجة إلى الزواج في الاغتراب أعظم وأشد إلحاحاً من المواطن الأخرى ، حيث الاحتشام والعفة ؛ وبالتالي إمكانية الصبر والانتظار وتجنب المثيرات والمنبهات، إلا أن عدم توفُّر العائلات المسلمة ـ ومن ضمنها الفتيات ـ على المؤهلات للزواج في أغلب مدن المهجر جعل عملية الاقتران بالفتاة المسلمة صاحبة الأخلاق والدين أمراً شبه متعسّر، وكذلك عملية العودة إلى الوطن الأم بسبب الظروف الاقتصادية والموضوعية التي قد لا تساعد المغترب في الأمصار البعيدة على العودة بسهولة لاختيار شريكة المستقبل التي يحلم بها، مما بعدد من الشباب في المهجر إلى الاقتران بالأجنبيات على أساس أنهن قد يُسلمن ، أو أسلمن بالفعل ، أو أنهن يملكن بعض الصفات الجمالية التي قد لا تتوفر في بنات بلده، أو بسبب تبريرات أخرى غير مقنعة مثل (القسمة والنصيب) و(زمالة الدراسة) و(شراكة العمل).

وعلى أي حال فإننا لا نقف من مسألة الزواج من الأجنبيات موقفاً سلبياً لمجرد كونهن أجنبيات لا يتكلمن العربية أو لا يعتنقن الاسلام ، وإنما بسبب

النتائج السلبية التي وصلت إليها علاقات الكثيرين ممن عرفناهم أو سمعنا عنهم بعد أن تزوجوا بأجنبيات ؛ مما جعلنا نتوقف طويلاً في المسألة ، وندعو كل من يفكر بالزواج من أجنبية إلى دراسة الأمر لا في تأثيراته ونتائجه الحاضرة فحسب ، بل وفي مدى إمكانية استمراره ونجاحه في المستقبل ، فقبل أن يندفع أحدنا لمجرد عاطفة لا يحكمها عقل أو تحكمها مصلحة آنية، عليه أن يفكر بثمرة وزهرة زواجه ، أي بالأسرة التي لا يمكن أن تبنى على عمادين متنافرين ، أو على الأقل مختلفين في مواضيع جوهرية ، فالمسألة فيها الكثير من المجاذبة ، إلا أن يتنازل أحد الطرفين للآخر لينسجم معه في أفكاره ومعتقداته وأساليب حياته وينفتح تماماً متقبلاً كل ما يلقي إليه دون اعتراض أو ممانعة ، وهذا وإن احتُمل حدوثه إلا أنه نادر، سيما في طبقات الأثرياء ، أو المثقفين حيث تقوم العلاقة بين الزوجين على أساس من الحصانة الذاتية ، والعزة الشخصية لكل موقع ؛ مما لا يسمح لعملية التنازل أو التوافق أن تتم بشكل سهل، ويبقى الاستثناء وارداً في كل ما نقول ، إلا أنه لا يلغي القاعدة أو الحالة الشائعة .

ولدينا عدة أمثلة تعطي نموذجاً لهذه الاستثناءات في العلاقة الزوجية بين رجل مسلم وامرأة أجنبية دخلت الإسلام حديثاً ، حيثُ كانت العلاقة مثالاً مَثَّلت سلوكاً عملياً صادقاً في عقر ديار الكفر والشرك. إلا أننا لا يمكن أن نعمم من الاستثناء قاعدة ، أو نستنتج منه فكرة إيجابية مطلقة، بل ينبغي أن نتذكر العشرات من الأمثلة في المقابل ، حيث العلاقة الزوجية بين المسلم والأجنبية لم تصمد طويلاً ، وكان الطلاق أو الخلاف الدائم هو

المصير الأليم الذي أدى إلى ضياع جيل بكامله ، وتفكك عائلات بتمامها .

وإذا استمرت هذه العلاقة ودامت فإننا نرى وفي ظل ضعف شخصية الزوج المسلم وفراغه الروحي والفكري أن أولاده قد تطبّعوا بعادات وسلوك أمهم الأجنبية التي مهما بدلت وغيرت من حياتها تبقى تحمل رواسب وتفاصيل دينها وعاداتها الاجتماعية التي تشربتها في مرحلة طفولتها في بيتها الأول.

ولعل فقدان الأولاد قابلية تعلّم اللغة العربية كلغةٍ أمٍّ يُعتبر الخسارة الأكبر ؛ لأنها الوسيلة الأهم لحفظ الدين وفهمه والتمسك بالتراث والأصول وعدم الاندماج الكلي أو الذوبان في المجتمع الغربي.

وهنا تحضرني قصة أحد الأصدقاء عندما زار إسبانيا في رحلة سياحية مع صديق قديم له قبل أكثر من عشر سنوات، وبينما هما يتجولان في أسواق إحدى مدنها إذ استوقفتهما واجهة إحدى المحلات القديمة وفيها التحف والمصنوعات اليدوية وما شاكلها، وعندما دخلا المحل وجدا رجلاً عجوزاً طاعناً في السن ينتظر أي أحد ليحدثه ويسامره ولا يهمه أن يبيع أو يروّج لمعروضاته، وهنا أخذ الرجل يسألهما، بعد أن لاحظ أنهما غريبان، من أي البلاد أتيا وأية لغة يتكلمان ، ولما علم أنهما مسلمان من لبنان هبّ من مكانه يقبلهما ويرحب بهما بلغة عربية ركيكة ، وعرّف نفسه بأنه من بلاد الشام واسمه محمد ، وأن الاسم الموجود خارجاً على زجاج الواجهة ما هو إلا اسمه الثاني الذي أجبرته الكنيسة أن يتبناه عند زواجه من امرأته

الإسبانية، وأخذ يقص عليهما ذكريات الطفولة وسوالف الماضي الجميل ، وكيف أن القدر ساقه إلى هذه البلاد بعد تحطم سفينتهم في البحر ونجاته واستقراره في إسبانيا، وهو الآن أب لأسرة من أربع بنات ، ولم يخف قلقه عليهن من أمهن التي تصرّ على تزويجهن من قراباتها وأبناء ملتها ، بينما هو ينتظر بفارغ الصبر من يأتي لينقذهن من براثن المجتمع الفاسد ، ويعرفهن على أصولهن وتقاليدهن الإسلامية السامية.

وهذه واحدة من قصص كثيرة أشد وأكثر إيلاماً وأبلغ مفاداً، والسائل عن أحوال الذين هاجروا قديماً وحديثاً إلى أمريكا اللاتينية يعلم جيداً أن الأجيال هنا تندثر وتذوب تماماً في محيطها، ويكاد يصعب أن تتعرف على أصولها إلا من خلال أسماء عائلاتهم أو لون بشرتهم، ولقد التقيت شخصياً بعدد من الطلاب والطالبات الذين ينحدرون من أصول عربية ويعيشون في بلدان أمريكا اللاتينية حيث وجدتهم لا يعرفون عن أصولهم هذه سوى أن جدهم أو جدتهم كانا من العرب وأنهم ما زالوا في بيوتهم حالياً يُعدون بعض الوجبات العربية من الطعام اللذيذ ، ثم لا شيء آخر ! فعاداتهم وسلوكهم ومعتقداتهم لا تختلف بشيء عن عادات وسلوك ومعتقدات أهل البلاد التي يقطنونها، وهم أنفسهم لا يترددون في الإعلان والمجاهرة بأنهم من الاسبان أو الأمريكان ، وهم واقعاً وعملاً كذلك !...

على هذا الأساس يجب دراسة مسألة الزواج من الأجنبية دراسة حذرة ومسؤولة تأخذ في الحسبان أكثر من اعتبار واعتبار، وليس من الحكمة في

شيء أن نتبنى السلوك الطائش المتسرع الذي ندفع ثمنه لاحقاً وتترتب آثاره السلبية على المجتمع بأسره وعلى مصيره الأخروي بأهميته وامتحاناته.

على الضفة المقابلة نلاحظ أن هناك من المهاجرين من بلغ من السن عتياً ، وهو لا يفكر بزواج ولا بأسرة ، وهذا في الأعم الأغلب يعود إلى اعتياد بعضهم ـ والعياذ بالله ـ على الزنا كأمر شائع متيسر في الغرب ، وكمصرف سهل للشهوة الجنسية لا يستتبعه بناء أسرة ولا افتتاح منزل ولا ارتباط دائم بزوجة ولا أولاد، فالمصاحبة واتخاذ خليلة أضحى من الأمور الطبيعية هنالك ، وقد يُنظر إلى من لا يفعل ذلك بنظرة استخفاف أو تعجب في وسط مجتمعات الجهلة أو الفساق من المسلمين . وقد تكون مثل هذه المجتمعات الوسيط الأكثر احتمالاً لنقل الأمراض المعدية والفتاكة إلى المجتمعات المحافظة من دون العلم أو التنبيه إلى مخاطر علاقاتهم المتعددة أو المتقلبة مع الأجنبيات اللواتي يتشر بين أغلبهن هذه الأيام مرض فقدان المناعة المكتسبة، أو فلنقل القابلية على الإصابة بهذا المرض.

ولعل الزواج المؤقت هو الحل الأنجع في حال عدم التمكن من الزواج الدائم ، وهو من وجهة نظر الإسلام وسيلة ظرفية تهدف إلى تحصين الإنسان العازب غير القادر على الزواج الدائم من الوقوع في هاوية الزنا. وتشبيه البعض أو عدم تمييزهم بين الزنا والزواج المؤقت يعود إلى جهلهم بالشروط الخاصة التي اشترطتها الشريعة المقدسة كمقدمات واجبة لمثل هذا النوع من العلاقة المحترمة والمنظمة والمسؤولة بين الرجل والمرأة،

فقد ماثلت هذه الشريعة بين مواصفات الزوجة الدائمة والمؤقتة، ومن هنا نرى أن لفيفاً من فقهائنا الأعلام يؤكدون على ضرورة مراعاة أخلاقيات الزوجة المتمتع بها. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن هناك من يسيء تطبيق أحكام الزواج المؤقت ويتساهل في كثير من شروط هذه العلاقة الزوجية، مما قد يؤدي إلى بطلان العقد وبالتالي إلى الوقوع في الحرام. وفي المقابل نجد أن آخرين يستهزئون بهذه السنة المحمدية في أمور المزاح الخليع والطعن في أعراض المؤمنين والمؤمنات ، ولا يميّزون بينها وبين أي علاقة أخرى غير شرعية.

والإستعاضة عن الزواج الدائم أو المؤقت تتم غالباً عبر أحد طريقين :

١ ـ إما من خلال المصاحبة والتعرف على فتاة لا خليل لها وهي المصطلح عليها بالإنكليزية Girl Friend.

٢ ـ وإما من خلال الاتجار مع بائعات الهوى اللواتي تمتهنّ الدعارة بعلم من السلطات الرسمية وترخيصها، مع أن نفس هذه السلطات تبذل الملايين من الدولارات لتتوقى حدة انتشار الأمراض الجنسية المعدية والتي باعترافهم أيضاً تتسبب بشكل أساسي من تجارة الجنس التي ترتبط بدورها ارتباطاً عضوياً بتجارة المخدرات وعصابات تهريبها وبيعها..

ورغم كل ما يشكله هذا من خطر على المجتمع وأفراده فإننا لا نجد فعلياً أن هناك توجهاً للقضاء على مصادر ذلك ، وكل ما تسمع به هو إغلاق بعض أماكن الدعارة التي لا تملك ترخيصاً خاصاً أو مصادرة بعض

الكميات من المخدرات ، بينما الأطنان الأخرى تتنقل بين الأيادي ، وتوزع على الضحايا دونما شدة أو حزم في ملاحقة المجرمين. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على الخلل الأخلاقي الذي تعيشه المجتمعات الرأسمالية ، حيث حرّية الفرد مطلقة ولو على حساب مجتمع بكامله بل وأجيال بمعظمها...

فها هم يسمحون للمومسات أو للشاذين جنسياً بالترويج لجمعياتهم وبممارسة انحرافهم تجارة علنية مما يؤدي ووفقاً لاستطلاعاتهم إلى انتشار الأمراض السارية والمعدية في أوساط الناس العاديين ممن جرّهم الهوى لممارسة الجنس مع بائعاته اللواتي لا يترددن في معاشرة أي زبون ولو لساعة فالمهم لديهن هو المال. وهكذا تمر الزبائن تباعاً ساعة بعد ساعة ومعها تمر فيروسات الأمراض المعدية لتستقر في مجاري الدم ولتفتك بصاحبها رويداً رويداً إلى أن تظهر العلامات وتبرز الإمارات فتقع الكارثة ولات حين مناص.

ونوّد هنا أن ننقل للقارئ الكريم هذه المقالة التي نشرناها في مجلة براءة الصادرة في الولايات المتحدة (العدد ٢٦، ص ٣٧) ؛ لما فيها من المعالجات الموضوعية التي تمس بعض جوانب مشكلتنا هذه :

(بدايةً لا أرى ضرورة للتأكيد على أهمية الزواج وقدسيته بعدما أفاضت به شريعتنا السمحاء من آيات بينات وأحاديث شريفة فيها ما فيها من تعظيم الأمر والحث عليه وتذليل العقبات التي تعترض طالبيه بحيث

تسالم عرف المؤمنين على ضرورته وعدم إغفاله، فكانت إحدى معالم الحالة الإسلامية مسألة انتشار الزواج في (عمر مبكر) كما يصطلح عليه الغربيون ومروِّجو ثقافتهم في بلادنا. ولكنَّ ما ترتئي التعرض له والتأكيد عليه هو الواقع المعقَّد والظرف الاستثنائي الذي يعيشه الشباب المهاجرون فيما يرتبط بقضية الزواج ؛ مما أشاع في أوساطهم ظاهرة الزواج المؤقت أو ما يسمى بعقد المتعة والذي لا نشك في حليته ومشروعيته وكونه حلاً مؤقتاً، إلاَّ أننا ندعو إلى حل دائم يركز على الثوابت الشرعية في إرساء البيت الزوجي السعيد والحضن الدافئ لأجيال الغد والمستقبل ، ودعوتنا هذه ليست ضرباً إبداعياً تفردنا به ، وإنما هي حلم وأمل أغلب الشباب العازب الذي يتطلع ويلهفة إلى ذلك اليوم الذي يتم به دينه ويدعم صيانة التزامه في ظل أجواء الإثارة الجنسية والتهتك والخلاعة التي تعم معظم حياته في هذه المجتمعات ، سواء في أروقة الجامعة وفنائها ، أو في أماكن العمل ومتعلقاته ، سيما في أيام الصيف الحار ، حيث يشعر المسلم المغترب عظيم ما بين قيم وأخلاق الغربيين وقيم وأخلاق المسلمين ، بل حتى المسيحيين الذين يعيشون في الشرق في وسط وجوار المسلمين يشعرون بهذا الفرق أيضاً.

ونظراً للشروط الخاصة التي يطلب الشاب الملتزم توفرها في مشروع شريكة حياته ، والتي لا تخلو عادة من المتطلبات العامة التي حض الإسلام عليها في مجال اختيار الزوجة، مثل الإيمان وحسن الخُلق والخَلق، فإن

إمكانية الحصول على مطلوبه تكون أقل وأندر ، إضافة إلى قلة أعداد العائلات المهاجرة ، مما يخلق تفاوتاً ظاهراً بين أعداد الشباب الراغب بالزواج والشابات المهيّآت لذلك. هذا التفاوت العددي يؤدي إلى كثرة الطلب وقلة العرض ـ إن صح التعبير ـ مما يوقع بعض الفتيات ضعيفات الإيمان بمشكلة الغرور والتكبر، وقد نقل لي أحد الأخوة أن إحداهن كانت تفخر على الأخرى بأن زوجها ـ للأخيرة ـ وستة شباب قبله كانوا قد تقدموا لخطبتها وكان أن ردت الجميع على أعقابهم. والرد هذا يكون عبر تبريرات وأعذار مختلفة يلعب الأهل دوراً مهماً في حياكتها، فهم غالباً ما يحيطون كريمتهم بأجواء معينة يصوغها مرة خوفهم المشروع على مستقبلها، وأخرى طموحهم ورغبتهم في مصاهرة طبقة اجتماعية معينة لها أعرافها وأجواؤها الخاصة بها.

وأما الصيغة الأولى فقد يكون لها ما يبررها شرعاً وعقلاً ، إلا أنها كثيراً ما تتجاوز الحدود المعتبرة عند أهل الشرع والعرف ، لتصبح شروطاً تعجيزية تجعل الشاب الراغب بالزواج شخصية تعيش الإحباط النفسي واليأس من إمكانية أن يحصل على زوجة تحاكي طموحه وواقعه ؛ مما يدفع به وبأمثاله إلى تفضيل العيش في حياة عزوبية واستقلال قد تؤدي إلى وقوعه بالمضار ، وشروده عن المجتمع الأم ، وعن عاداته وتقاليده ، واكتفائه بالنموذج الغربي في الحياة ؛ حيث لا أثر مهم لعائلة ولا علاقة جنسية منضبطة. وفي المقابل فإن الفتاة التي تكرر رفض طالبي يدها أو التي

يعرقل أهلها مشاريع زواجها فإن إمكانية زواجها مستقبلاً تصبح ضعيفة وذلك لعدة أسباب نذكر منها :

أ ـ الصيت الذي يذيع عنها في الأوساط الاجتماعية بأنها صعبة المنال مما يبعد العديد من الشباب عن طريقها.

ب ـ مرور الأيام والسنين تباعاً وفوات سنها الأنسب للزواج ووقوعها في العنس المشؤوم.

ج ـ المعاناة القاسية التي تعيشها في العزوبية بين دعوات الأهل إلى الاحتشام وصرخات المجتمع الغربي بوسائطه المتعددة إلى الانحلال والتحرر ؛ مما قد يصيبها بعقد نفسية وأمراض أخرى.

الحلول الممكنة والواقع المطلوب :

قد يتصور البعض من الشباب أنهم غير معنيين بهذا الموضوع وبكل التعقيدات التي تحيطه في عالم الاغتراب ؛ لأنهم يعقدون العزم على العودة إلى بلدهم الأم ، حيث الاختيار الأسهل والأوسع والأفضل لشريكة حياة لم تعايش أجواء الغرب ومفاسده ، ولم تتأثر تربيتها بأساليب تربيتهم ، ولا ثقافتها بثقافتهم ، وإلى ما هنالك من تباينات ومفارقات قد لا تنطبق على الجميع بمستوى واحد ، أو تصدق على كل المصاديق بشكل متواطئ. وفي مطلق الأحوال فإن هذا العزم والتصور قد لا يكون بإمكان واستطاعة البعض الآخر ، ومنهم الطلاب الذين يتابعون دراستهم في الخارج وليس

لديهم المزيد من الوقت أو المال للعودة إلى الوطن وإنجاز مشروع زواج يتطلب العديد من المراسيم التي قد لا تتناسب مع قدرات وإمكانيات طالب جامعي هو بأمس الحاجة إلى الوقت وإلى زواج ميسور لا تشوبه التعقيدات والمقدمات الطويلة ؛ مما يضطرهم للبقاء حيث هم مدة طويلة يتحتم عليهم خلالها إتمام مشروع الزواج ممن يتوفر من فتيات هاجرن مع عائلاتهن أو وُلدنَ في المهجر وترعرعن فيه. وإلى هؤلاء الشباب والشابات نتوجّه بالآتي مذكرين أنفسنا وإياهم مستنهلين من المعين العذب والمعلم الأول نبينا الأكرم محمد ﷺ حيث يقول :

« ما من شاب تزوّج في حداثة سنّه إلا عجّ شيطانه : يا ويله يا ويله، عصم مني ثلثي دينه ، فليتق الله العبد في الثلث الباقي »[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام :

«إن ركعتين يصليهما متزوّج أفضل من رجل يقوم ليله ويصوم نهاره أعزب»[2].

وإلى الذين يظنون أن الزواج يزيد في المصاريف ويفقر طالبه، يقول نبينا ﷺ :

«اتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٢٢١ ، ح٣٤ .
(٢) بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٢١٧، ح١.
(٣) بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٢١٧، ح١.

وإلى اللواتي تفاخرن بأعداد الذين تقدموا لهنّ بالزواج وامتنعن، ننقل لهن هذه الرواية عن إمامنا الرضا عليه السلام يقول:

«إنّ امرأة سألت أبا جعفر عليه السلام ، فقالت: أصلحك الله إني متبتّلة.

فقال لها : وما التبتّل عندك ؟

قالت : لا أُريد التزويج أبداً .

قال : ولم ؟

قالت : ألتمس في ذلك الفضل .

فقال عليه السلام : انصرفي فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منك ، إنّه ليس أحد يسبقها إلى الفضل»[1].

وإلى الأهل الكرام نتوجّه سائلين إياهم أن يأخذوا بعين الاعتبار موقف الشرع وإرشادات الإسلام في مثل هذا الموضوع ، وأن لا يتبعوا أعراف الآخرين من الغربيين والمتمثلين بهم في التزويج ؛ لأن هذا يؤدي إلى مفاسد ومهالك لأبنائهم وبناتهم دون انتباه أو التفات، ولا تظنوا أنكم برفع قيمة مهر ابنتكم ترفعون من مكانتها أو منزلتها عند الناس ولا تصوروا المسألة وكأنها تجارة تستدعي الشطارة والمهارة لاقتناص المشتري. ونورد لكم الحديث المأثور عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله :

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٢١٩، ح ١٣.

«أفضل نساء أمتي أحسنهنّ وجهاً وأقلهن مهراً»[1].

وعن سبطه الإمام الصادق عليه السلام:

«أما شؤم المرأة فكثرة مهرها وعقوق زوجها»[2].

وأما فيما يختص بالشروط التي يفترض على الأهل أو الفتاة إملاؤها والتأكيد عليها فتستفاد من الآتي عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا جاءكم من ترضون خُلقه ودينه، إلاّ تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفساد»[3].

وعن إمامنا الرضا عليه السلام:

«إن خطب إليك رجل رضيت دينه وخلقه فزوِّجه، ولا يمنعك فقره وفاقته، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾. وقال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾»[4].

وقد يستشيرنا البعض في أمر تزويج ابنته أو أخته أو قرابته ونحار ماذا نقول وإلى من نشير ولنا في التاريخ عبرة وحكمة، فقد جاء رجل إلى الإمام الحسن عليه السلام يستشيره في تزويج ابنته، فقال عليه السلام:

---

(١) نفس المصدر السابق: ص ٢٣٧، ح٣٧.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ١٥٠، ح٢.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج٥، ص٣٤٧. و«التهذيب» للشيخ الطوسي: ج٧، ص٣٩٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٠٣، ص ٣٧٢، ح٧.

«من رجلٍ تقيٍّ، فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها»[1].

وفي رواية عن الرضا ﷺ ينهى فيها عن تزويج شارب الخمر، وشبّه تزويجه بالقيادة إلى الزنا[2] ، وهنالك المزيد من الإرشادات والتوجيهات المهمة في هذا المجال إلا أننا نكتفي بهذا القدر الذي لو طبّق وعُمل به فإن الجواب على سؤالنا الأول سيكون واضحاً جلياً، وهنا بإمكاننا أن نقول بكل ثقة أن مشكلة ومعاناة الشباب العازب وغيرها من المشاكل تحل وتنتهي عندما نطبق إسلامنا في مناحي حياتنا دون استثناء.

❁ ❁ ❁

(٢) مكارم الأخلاق: ص ٢٠٤.

(٣) وهي رواية الإمام الرضا × نفسها التي تقدمت .

العمل الإسلامي في الغرب

إننا نؤمن أن تنشيط العمل الإسلامي والدعوة إلى الإسلام في الغرب وفرض الكثرة العددية للمسلمين في مناطق معينة ومختارة بدقة قد يساعد كثيراً على التخفيف من مساوئ الهجرة بل إننا ندعو إلى أن يكون المسلمون في المهجر هم الطليعة للعمل الإسلامي والدفاع عن الإسلام وحقوق المسلمين في كل مكان ولتأمين ذلك لابد من مراعاة الأمور التالية :

أولاً : إنشاء المدارس والمراكز والجوامع الإسلامية والحوزات وتفعيلها بشكل عملي وفعال ، والانفتاح على المجتمع الذي تتواجد فيه ، والعناية بكل فرد من أفراد الجالية.

ثانياً : العناية الكبيرة بأمر الدعوة والتبليغ وإيصال كلمة الإسلام إلى الآخرين ، فلو تعهد كل مسلم في الغرب على أن يعمل بكل طاقته لأن يُدخل في الإسلام شخصاً يعرفه كل سنة أو حتى كل سنتين ، لرأينا ازدياد عدد المسلمين وقوتهم بشكل يعود بالنفع والخير على الجميع ؛ لذلك لا بد من الانتباه إلى هذا الأمر ، وعلى العلماء في الغرب والمؤسسات الإسلامية أن تضع الخطط والبرامج الكفيلة بإنجاح هذا العمل ، وعلينا دائماً أن نتذكر حديث رسول الله ﷺ لعلي : «**وايمُ اللهِ لأن يهدي الله على يديك رجلاً**

خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»[1].

ثالثاً : عدم التقوقع ضمن الجالية الواحدة ؛ فعلى الجميع أن يتواصلوا ويعملوا على تبادل الخبرات ، وعدم الوقوع في التكرار وتفادي الهدر المالي وتضييع الوقت في كثير من الأمور التي لا حاجة لتكرارها لأنها نجحت لدى جالية معينة لكنها قد لا تنجح بين جالية أخرى.

رابعاً : الانخراط في العمل السياسي وصنع القرار للبلد الذي يعيش فيه المسلمون ، وعلى كل فرد أن يمارس حقه الانتخابي ويشجع السياسيين المسلمين للوصول إلى مراكز صنع القرار ، ولا بد من التعاون في هذا المجال مع جاليات أخرى قد لا تكون مسلمة إلاّ أنها تشارك الجالية المسلمة في كثير من الأهداف.

خامساً : العمل على إصدار الصحف والمجلات ، وإنشاء القنوات الإذاعية من راديو وتلفزيون ، وإننا لنناشد كل الجاليات المسلمة أن تتوحد في هذا العمل لما له من أهمية فائقة، فكم من المؤسف أن نرى كل مركز أو جامع يصدر بمفرده نشرة صغيرة لا تتعدى محيطه ؛ لتفقد النشرة شمولية الوصول إلى أكبر عدد من القراء . والأمر الآخر الذي يجب الالتفات إليه هو استعمال لغات البلاد التي تتواجد فيها ؛ فلا نكثر الإصدارات بلغات بلداننا ، كالعربية والفارسية والأوردية ، فلا بد من إصدارات بلغات البلاد التي نعيش فيها.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني : ج٥، ص٢٨ .

سادساً : علينا أن نشجع أبناءنا على الانخراط في المجالات الحساسة التي تؤثر علينا بشكل إيجابي ، كالصحافة والمحاماة والطب والشرطة والسياسة ؛ فالذي نراه أن الجميع يتوجه إلى إدارة الأعمال وترك المجالات الأخرى.

سابعاً : العمل الحثيث على امتصاص مساوئ احداث الحادي عشر من ايلول ، ونظم الأمر ، والعمل بكل الطاقات وبالتعاون مع الحوزات العلمية والمؤسسات الإسلامية كافة ؛ من أجل إبراز الإسلام من جديد دين السلام والخير والمحبة، والمتصدي للحملات الشعواء ضد الإسلام من اليمين المسيحي المتطرف والصهيونية العالمية والهندوسية.

✿ ✿ ✿



وصايا للمهاجرين

وصايا للمهاجرين

فيما يلي وصايا وإرشادات مهمّة مُوجّهة إلى الشباب المؤمن المهاجر إلى خارج البلاد الإسلامية ، مُستقاة من إفادات بعض العلماء المعايشين لهمّ هذه القضيّة :

١ ـ على الإخوة المؤمنين المهاجرين أن يسعوا لأن تكون هجرتهم حركةً في سبيل الله ، وانطلاقةً من أجل الإسلام ؛ ليُواجهوا بهجرتهم قضايا الأمّة بكل مسؤوليّة وبكلّ انفتاح .

٢ ـ إنّ على إخوتنا الأحبّة أن يدرسوا معنى الإسلام، ومعنى الإيمان هناك في مهجرهم، وأن يعرفوا أنّ إسلامهم في دائرتهم الذاتية هو أمانة الله عندهم. فالله جعل الفكر الإسلامي أمانة في عقولهم ، ويريد لعقولهم أن تحفظه وتُنمّيه ، وأمانةً في قلوبهم ، حيث يريد لقلوبهم أن تبقى نبضاتُها وخفقاتُها وأحاسيسُها إسلامية .

وليعلمُوا أنّ أيّ نوع من أنواع التّساهُل في ذلك ومحاولة إعطاء الإنسان نفسَه بعض الحريّة على حساب التزامه الديني ؛ يجعل لسفرهم عنوان «التعرُّب بعد الهجرة» ، الذي يعتبر من الكبائر . فالّذي يُسافر إلى بلد يضعُفُ فيها دينه هُو إنسانٌ يرتكب كبيرةً في سفره قبلَ أن يرتكب الكبائر المنصوص عليها في مواقع سفره .

لذلك عليكم أن تحافظوا على دينكم أكثر ممَّا تُحافظون على إمكانات بقائكم في مواقع هجرتكم، وعلى المال الذي تحصلون عليه ؛ لأنَّكم إذا فقدتم الهجرة أو فقدتم المال فإنَّ هناك أكثر من فرصة أخرى، لكنَّكم إذا فقدتم الدين وفقدتم محبَّة الله وفقدتم رحمة الله ورضوانه فإنَّكم تفقدون كلَّ شيء.

كونوا الأقوياء في دينكم بحيث لا يستطيع الكفر والضَّلالة والخلاعة والمجون والفسق أن يتحدَّى إيمانكم.

٣ ـ ليس المطلوب من المهاجرين أن يكونوا أقوياء في أنفسهم فحسب ؛ بحيث تتحدَّد جهودهم في إطار حفظهم لإيمانهم في أنفسهم فحسب، بل المُرتجَى منهم أن يكونوا الأقوياء في إسلامهم ككُل، بحيث يعملون على أن يُحركوا الإسلام في واقع الناس من حولهم.

٤ ـ فَلْيَكونوا دُعاةً إلى الله من خلال سلوكهم ؛ ولْيَرَ الناس منهم الصدق والخير والأمانة والورع. فليحترموا أموال الناس الذين يعيشون بينهم، وليحترموا الحقيقة فيما يتكلَّمون به، ولا يكذبوا حتَّى لو أغراهم الكذب بأنَّه يُحقِّق لهم ربحًا. ولا يخونوا أمانة الناس في أموالهم وأعراضهم حتَّى لو كانوا كافرين ؛ لأنَّ رسول الله ﷺ دخل إلى قلوب الناس قبل أن يُبعث نبيًّا بصدقه وأمانته، وكذلك أئمَّةُ الهُدى من أهل البيت عليهم السلام.

لذلك فلْيَرَ الناس منكم الصِّدقَ والأمانة فإنَّهما القاعدتان الأساسيتان لشخصية الإنسان المسلم في حياته الاجتماعية.

٥ ـ فلْيُحاول المهاجرون من خلال مواقعهم أن يُحدثّوا الناس عن الإسلام : عن أخلاقه ، عن آفاقه ، عن حركيته ، عن انفتاحه على قضايا الناس ، عن جهاده في سبيل المستضعفين حتى لو كانوا من غير المسلمين ، عن مواجهته وتحدّيه للظلم في العالم حتّى لو كان المظلومون كفاراً والظالمون مسلمين .

حاولوا أن تحدثّوا الناس عن الإسلام ليُحبّوا الإسلام. وحاولوا أن تُنمُّوا ثقافتكم الإسلاميّة لتدخلوا في حوار مع الناس حول الإسلام ، وحاولوا أن تعيشوا معهم الأجواء الإسلاميّة ليتمموا إلى الإسلام .

إنّنا نعرف أنّ كثيراً من مواقع الانتشار الإسلامي في العالم كانت بفضل المهاجرين المسلمين ممّن هاجر لطلب الرزق ، أو هاجر للفرار من موقع أمني يُلاحقُه في بلده . فمهما تنوّعت أسباب الهجرة فإنّ بإمكان المهاجر أن يُؤدّي دوره الفاعل في سبيل قضاياه الكبرى وإسلامه العظيم .

٦ ـ لتكُن الهجرة هجرةً إلى الله ؛ لأنّ كلّ إنسان يُهاجر من أجل هدف يحبُّه الله فهو مُهاجرٌ إلى الله .

٧ ـ كونوا جادِّين في كُلّ أوقات فراغكم . وإذا تاقت أنفسكم إلى العبث فيما تحتاجه النفس في بعض حالات ضيقها ، وإذا تاقت أنفسكم إلى اللهو فيما تحتاجه النفس من اللهو ؛ فليكُن عبثكم عبثًا مُحلَّلاً ، وليكن لهوكم بريئًا، فقد ورد في الحديث :

«ينبغي أن يكون للمؤمن ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعةً يلم فيها معاشه ، وساعة يختلي فيها بين نفسه وبين لذّتها في

غير محرَّم فإنَّها عون على تلك الساعتين» .

ليس مطلوبًا منكم أن تختنقوا بالجديَّة في كلِّ أموركم ، ولكن المطلوب ألاَّ يكون لهوكم لهواً يُغضب الله ، وألاَّ يكون عبثكم يمنعكم من الجدِّ في أوقات الجدِّ. فَلْتوازنوا ما بين جدِّكم وهزلكم ، ولْتوازنوا ما بين مسؤولياكم ولهوكم ؛ حتَّى لا تختنق حياتكم في مسؤوليتكم ، وحتَّى لا تندفع حياتكم إلى مواقع الاهتزاز من خلال لهوكم .

٨ ـ لستم وحدكم هناك ، ولستم وحدكم في العالم ، فإنَّكم جزء من مجتمع المسلمين والواقع الإسلامي. أنتم جزء من حالة إسلامية تتحرك في العالم كُلِّه من أجل أن تُثبِّت للإسلام مواقعه ، ومن أجل أنْ تُوسِّع امتداد الإسلام في الآفاق ، ومن أجل أن تُعمِّق للمسلمين تجربتهم ، ومن أجل أن تواجه بالإسلام كُلَّ المُستكبرين .

ولأنَّكم جُزءٌ من حالة إسلاميَّة ؛ فإنَّ مسؤوليَّة الجُزء أن يدرس حاجة الكلِّ من خلال ما يمتلكه من طاقة . إنَّ هُناك حركةً عدائيَّةً ضدَّ المُستضعفين ، هُناك إعلام يُحاول أن يُشوِّه الصورة ، هُناكَ مواقع تُخطِّط للإجهاز على قضايا المسلمين ؛ لذلك فجنِّدُوا وقتكم وما تمتلكون من الإمكانيات وما يتيسَّر لديكم من الآليات من أجل أن ينفتح الناس هُنالك على مشاكل المسلمين ، ليتحسَّسوها بعطف وقناعة ، وليتفاعلُوا معها في سُلوكهم وحركتهم .

٩ ـ لا بُدَّ للمهاجر أن يتَّصل بالمراكز الأساسية للحالة الإسلامية ؛ حتَّى يعرف دورَهُ الَّذي يتكامل فيه مع الأدوار الأخرى في إطار

المسؤولية المُلقاة على عاتقه .

١٠ ـ إنَّ المُهاجرين يعيشون في مناطق لها أنظمة مُعيَّنة، ولها أمنٌ مُعيَّن، فعليهم أن يُحافظوا على أمن الناس هُناك ، ولا يُقدِموا على أيِّ عمل يُسيء إلى أمن الناس ممَّا يعتبرُه الناس إرهابًا بنحوٍ ما . إنَّ الإنسان المسلم هو الإنسان الذي يحترم الأبرياء من الناس ، ويحترم أمن الناس كما يُريد الناس أن يحترموا أمنه. وعلى المهاجرين أن يتفهَّموا أنَّ أيَّ نوع من هذه الأعمال لا يستطيع أن يُحقِّقَ لهم أيَّ شيءٍ في قضاياهم الكبيرة ، بل ربَّما أساء ذلك إلى قضاياهم الكبيرة والصغيرة .

١١ ـ حاولوا ما أمكنكم أن تجتنبوا الإساءة إلى النظام العام الذي يسود المجتمع هناك ؛ حتَّى تنسجموا مع الأوضاع العامَّة ، وتستطيعوا أن تحصلوا على احترام الناس ، الأمر الذي يُمكِّنُ لكم الإستمرار في مواقعكم .

١٢ ـ لا بُدَّ للمهاجر المؤمن أن يُراعي أحكام الله وحدوده في ما يقوم به من معاملات تجارية ؛ لأنَّ الله لا يريد للإنسان أن يتحرَّك في طريق الحرام . وما أقلَّ حظَّ أولئك الَّذين يتناسون التزاماتهم الدينيَّة في سبيل مكاسب يستعجلونها ، ولو أنَّهم صبروا وتحرَّوا الكسب الحلال لكان خيراً لهم ، ولفتح الله لهم أبواب الرزق والرَّحمة .

١٣ ـ اجعلوا الناس تُحبونكم في كلِّ مواقعكم ، واحصلوا على الصداقات ؛ لأنَّ الإنسان المسلم هو الذي يُحوِّل أعداءه إلى أصدقاء ، لا الَّذي يفقد صداقاته ، ولا الَّذي يُحوِّل أصدقاءه إلى أعداء ، قال تبارك وتعالى:

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١)

١٤ ـ ليكُن لكلِّ واحد منكم وقتٌ يُحاسبُ فيه نفسَهُ ويُفكِّر في نفسه ، وينفتح فيه على ربِّه . خصوصًا عندما تضيق بكم الدُّنيا ؛ فانفتحوا في تلك الساعات على الله . وإذا وقعتم في بعض المعاصي فاسعَوا إلى التوبة إلى الله تعالى ، وتذكَّروا قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢) .

١٥ ـ حاولوا أن تعيشوا الوحدة فيما بينكم ، وحاولوا أن تحلُّوا مشاكلكم بالَّتي هي أحسن . ولا تعيشوا مشاكلكم الَّتي كنتم تعيشونها في أوطانكم من قبل . لا تعيشوا دروبكم الضيقة ، لا تعيشوا الحساسيَّات المُتخلِّفة . إنَّكم تعيشون في أجواء لا مجال فيها للمشاكل الصغيرة ؛ فكونوا الكبار في آفاقكم ، الآفاق الَّتي يعيش فيها المرءُ مع الله ويلتزمُ خطَّ ربِّه ، آملاً في أن يفِدَ إليه بكلِّ عمل صالح كلَّ موقف صالح . وتذكَّروا دائمًا قوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

---

(١) فصِّلت : ٣٤ .

(٢) الحشر : ١٨ ـ ١٩ .

١٦ ـ وأخيراً : لا بُدَّ من إنشاء مراكز للدِّراسات والتخطيط يُديرُها أهل الخبرة وذوو الشأن في هذا المجال ، تهدف إلى استشراف المستقبل ، ودراسة الظروف التي يعيش فيها فيه المؤمنون واقع الهجرة من حيث طبيعته النفسية وطُرق العيش والتفكير السائد فيه ؛ وصولاً إلى مُساعدة الجاليات المسلمة على اتِّخاذ خُطُوات وقرارات مفيدة وسليمة تعود عليهم بالنفع ، فإنَّ المطلب الأساس في هذا المضمار هو العمل وتجميع الطاقات من أجل جالية مسلمة قويَّة في كلِّ بلاد الغرب ، ومن أجل التواصُل التام مع البلدان الأم ومراجع الدين العِظام .

والله الموفِّق ، الَّذي نسأله أن يُظهر دينه على الدين كُلِّه ولو كره المُشركون .

والحمد لله ربِّ العالمين .



ختام

إن ما تقدم ـ أخي القارئ أختي القارئة ـ لم يكن أطروحة لنيل درجة علمية، ولا خطاباً ارتجالياً نطلب به ودّ الجماهير، ولا حتى كلمات من هنا وهناك لملء أوقات الفراغ، إنما ما نريده هو لفت الأنظار إلى قضايا حساسة وذات أهمية بالنسبة للمهاجرين والمغتربين، ولكي نذكّر أنفسنا وبعضنا بالمسؤوليات الجسام الملقاة على عاتقنا تجاه أهلنا وجاليتنا المسلمة في شتات المهجر. فلنعمل جميعاً كلٌ حسب إمكاناته ووفق قدراته ومؤهلاته العلمية والاجتماعية والمادية لصيانة المجتمع المسلم في بلاد المهجر من خطر الذوبان والانحلال والضياع وفقدان هويته وانتمائه العقائدي ، وبالتالي خسران الدنيا والآخرة ، وذلك الخسران المبين.

إنّ علينا أن نقلل من إطلاق الشعارات الفارغة والوعود والآمال البعيدة أو المستبعدة، والكف عن التغني بأمجاد الماضي الغابر أو البكاء على الأطلال المندثرة أو الصراع على جاهٍ فانٍ كبيت العنكبوت سرعان ما تبيد عند أول عاصفة. إنّ ما يفيدنا اليوم ونحن نعيش الغربة الحقيقية عن الدين والقيم والأخلاق السامية هو العمل الصامت والدؤوب لإيجاد منارات هداية وإرشاد لإنقاذ المستقبل الضائع للمئات من فلذات أكبادنا، أطفالنا أجيال

المستقبل، وذلك من خلال تأمين كل ما يحتاجونه من سبل معرفة ونور، وإلا فإن التاريخ سيُدينّنا أشد إدانة والحساب الأُخروي سيكون عسيراً لا رحمة فيه. كيف وقد تسببنا من خلال إهمالنا وخلافاتنا بحرمان أجيال تترى من نعمة الهداية والاستقامة ، وأبعدنا بسلوكنا وتصرفاتنا العديد من طلاب الحق وعشّاق الحقيقة عن نيلها والفوز بها.

إنها دعوةٌ من صميم القلب إلى المسارعة للحركة والعمل قبل فوات الأوان، فإن الشعوب والحضارات تبقى بآثارها التي تدل عليها، وإنّ الإنسان لا يصل إلى المراتب العليا من إنسانيته والتقرّب إلى ربه إلا بخدمة الآخرين والتضحية لأجلهم على أن تكون الخدمة والتضحية خالصة لوجه الله تعالى، أما لو كانت لغايات وأهداف دنيوية دنيئة فإنها سرعان ما تبور وتفنى مصداقاً لقول الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾[(١)].

في حين أنّه تبارك وتعالى أرادنا أن نكون خير أُمة :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)].

وكفى بكلام ربك واعظاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) الرعد: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي .

٣ ـ نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب ﷺ .

٤ ـ رسالة الحقوق، للإمام علي بن الحسين ﷺ .

٥ ـ تحف العقول عن آل الرسول، للعلامة الحراني .

٦ ـ الكافي، للشيخ الكليني .

٧ ـ مستدرك الوسائل للحر العاملي .

٨ ـ كتاب الحلال والحرام في الإسلام من تعليقة الحجة الشيخ محمد تقي الجواهري .

٩ ـ دليل المسلم في بلاد الغربة، لصاحبي الفضيلة السيد نجيب يوسف والشيخ محسن عطوي .

١٠ ـ المسألة الإجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، للكاتب عمر عودة الخطيب .

١١ ـ معالم التربية الإسلامية، دار التوحيد .

١٢ ـ النظام التربوي في الإسلام .

١٣ ـ مجلة المنطلق، العددين ٤٤ ـ ٤٥

١٤ ـ مجلة براءة الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية، العدد ٢٦ .

✿ ✿ ✿

هنا نحب أن نورد عناوين بعض المؤسسات الرئيسية في الغرب فعلى المسافر الإتصال بإحداها ليعرف عنوان واسم المسجد أو المركز أو الجهة أو الشخص الذي يمكن الإتصال به في المدينة التي يتواجد فيها .

كندا :

المجمع الذي يضم مشمل المؤسسات الشيعية في كندا :

AhLUL - BaiT Assambly

1166 Warden Ave

Scanb orough.(Toronto) ON

الجمعية العاملة في مجال الدعوة في أميركا وكندا :

D.T.A
P.O.BOX 73088
2300 Lawrence Ave.E
Scanb orough.(Toronto)on
M I P 425
Tel : 416-4968842
Email:dta_canada@hotmail.com

وللحصول على عناوين في بلدان اخرى تستطيع زيارة هذا الموقع على الانترنيت والحصول على العنوان الذي تريده:

www.shia.org

محتويات الكتاب

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس